

تعريف عام بالعلوم الشرعية

الدكتور
محمد الزحيلي









دمشق ــ أوتوستراد المزة

هاتف

٢٤٤١٢٦ ــ ٢٤٣٩٥١ ــ ٢١٣٨٢١

تلكس: ٤١٢٠٥٠

ص.ب: ١٦٠٣٥

العنوان البرقي

طلاسدار

TLASDAR

ريع الدار مخصص

لصالح مدارس أبناء الشهداء في القطر العربي السوري

تعريف عام

بالعلوم الشرعية

الطبعة الثانية /١٩٩٢/

الدكتور
محمد الزحيلي

تعريف عام بالعلوم الشرعية

بســم اللــه الرحمــن الرحيــم

مقـــــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على رسول الله، المبعــوث رحمة للعالمين، وهو النبي الأمي الذي أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وبعثه معلماً، ورضوان الله تعالى على صحابة رسول الله الذين آمنوا به، وعزَّروه ونصروه، واتَّبعوا النور الذي أُنزل معه، وتعلموا في مدرسة النبوة، وتخرجوا من مدرسة القرآن، وحملوا الدعوة والعلـم إلى العالم، فكانوا خير جيل عرفه التاريخ. وبعد:

فقـد حملت الأمـة العربيـة الإسلاميـة مشعـل الحضارة

الإنسانية والتراث العالمي حقبة طويلة من الزمن، وضمّت بين جنباتها جميع العلوم والثقافات القديمة التي ترجمتها إلى العربية، وهضمتها، ثم طورتها، وتابعت المسيرة فيها وأضافت إليها المزيد من الاختراعات والاكتشافات، سواء في ذلك العلوم التطبيقية في الطب والفلك، والكيمياء والفيزياء، والحساب، والرياضيات، والهندسة، والجبر، أم في العلوم الإنسانية في المنطق والفلسفة والتاريخ والجغرافيا، والتربية والآداب العربية والأجنبية، أم في العلوم الدينية باليهودية والنصرانية، وديانات الأمم الأخرى وعقائدها، حتى الديانات الوثنية. ثم أوجدت الأمة العربية الإسلامية العلوم الشرعية الخاصة بها، والتي لم يسبقها إليها غيرها، وبدأت هذه العلوم من مبادئها الأولية، ومنطلقاتها الرئيسية، ثم تطورت ونضجت، وازدهرت واكتملت، وصارت معالمها قائمة بذاتها[1].

وصارت اللغة العربية لغة العلوم من جهة، واللغة العالمية **الوحيدة من جهة أخرى، وكتبت فيها معظم العلوم السابقة العلم، ولم**

---

(١) انظر محاضرة الدكتور فؤاد سزكين عن مكانة المسلمين في تاريخ العلوم (محاضرات في تاريخ العلوم ص ١١ وما بعدها).

تقتصر على علم دون آخر ، كما أنها بلغت الذروة في كل علم ، ولم تتركه في مهب الرياح[٢].

ونخصص البحث هنا عن العلوم الشرعية فقط ، التي انبثقت أساساً من القرآن الكريم ، وظللتها الشريعة الغرَّاء ، ورفع لواءها الإسلام ، وقام على غرسها وسقايتها والإشراف عليها الآباء والأجداد من الأمة العربية الإسلامية ، وشاركت فيها مشاركة فعالة الشعوب الإسلامية التي انضوت تحت لواء الإسلام ، فأينعت الثمار في أيديهم ، ونشروها في العالم ، وخلفوها تراثاً فريداً وثميناً لمن بعدهم وتركوا بصماتهم عليها في أقطار المعمورة ، وتبلورت في ملايين المخطوطات المحفوظة في دور الكتب ومكتبات العالم أجمع ، واستفادت منها أمم الأرض وشعوب القارات ، ولا يزال معظمها مخطوطاً يتطلع إلى اليد الحانية ، والرعاية الكريمة ، والجهود الجماعية والفردية لإخراجها للناس ونشرها وطباعتها وتيسير تداولها ، مع

---

(٢) عرف العامريُّ العلم بأنه «هو الإحاطة بالشيء على ما هو عليه من غير خطأ ولا زلل» (الإعلام بمناقب الإسلام ص ٨٤) وعرف آخرون العلم بأنه «اعتقاد الشيء على ما هو به عن دليل» (انظر: كشف الظنون ١/٤ ، ٩ ، ٢٥).

الاعتراف بأن المخطوطات العربية تلقى العناية العظيمة في حفظها وترميمها، وتصويرها، مع الاستفادة المحدودة منها.

كما أن هذه العلوم الشرعية لا تزال تحتفظ بطابعها العربي، وخصائصها الإسلامية، ودعائمها الشرعية[٣]، سواء كانت في البلاد العربية والإسلامية أم في جامعات الغرب والشرق، أم في أيدي المستشرقين وأتباعهم.

وسوف نتناول دراسة هذه العلوم الشرعية بالترتيب، لنقدم التعريف بكل علم، مع بيان أهميته ونشأته وتطوره، وأشهر العلماء والمؤلفين فيه، ثم بيان أهم الكتب المصنفة به[٤]، والاشارة إلى

---

(٣) انظر أنواع العلوم الشرعية وفضلها في (الإعلام بمناقب الإسلام ص٨٤، ٩٩، ١٠٥، ١٠٩، كشف الظنون ٢٥/١، مفتاح السعادة ٥٠/١ من المقدمة، ٧٤، النقاية ص٢٦٠، الدراية ٢).

(٤) هذه الموضوعات ألقيت بسبع محاضرات في الدورة التدريبية السادسة لمبعوثي الدول العربية لدراسة شؤون المخطوطات العربية، التي عقدها معهد المخطوطات العربية، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في جامعة الدول العربية، في مكتبة الأسد بدمشق خلال الفترة ٨/٢٩ إلى ١٩٨٧/١٠/٢٧م،ثم قمت بتنقيحها ودفعها للمطبعة ليعم النفع بها إن شاء الله تعالى، وتلبية لرغبة الأحبة والزملاء والطلاب.

المخطوطات المتعلقة بكل علم في مكتبة الأسد بدمشق، وذلك حسب الخطة التالية:

الفصل الأول: علوم القرآن الكريم، ومنها علم القراءات وعلم التفسير.

الفصل الثاني: علوم الحديث الشريف.

الفصل الثالث: علم التوحيد.

الفصل الرابع: علم الفقه.

الفصل الخامس: علم أصول الفقه.

الفصل السادس: علم السيرة النبوية.

الفصل السابع: علم التصوف.

الفصل الثامن: علم الفرائض.

الفصل التاسع: علم الخلاف.

الخاتمة

ونسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى، ونعم المجيب.

ربيع الأول ١٤٠٨ هـ
تشرين الثاني ١٩٨٧ م

الدكتور محمد الزحيلي
الأستاذ بجامعة دمشق ـ كلية الشريعة



الفصل الأول

علوم القرآن الكريم



تعريف علوم القرآن الكريم

وهي من أهم العلوم الشرعية على الإطلاق، وهي من العلوم الضرورية التي يحتاج إليها ــ كلياً أو جزئياً ــ كل مسلم، لأن القرآن الكريم هو الدعامة الأولى للعقيدة الإسلامية، والركيزة المتينة لبناء الإسلام، والمنبع الصافي للأخلاق، والمصدر الرئيسي للعبادات والتشريع والأحكام، وهو محور الإسلام، وسر وجوده، وجوهر بقائه، ومنه تنطلق جميع العلوم الشرعية، وهو الباعث والمحرك لكل تقدم أو تطور أو حضارة أو مدنيّة أو رقي للمسلمين، في القديم والحديث والمستقبل، وأنه الدستور المقدس في الأرض.

والقرآن الكريم اسم للكتاب الإلهي الذي يدين به

المسلمون، ويعظمونه، ويرفعونه عالياً فيما بينهم وبين أمم العالم أجمع، وهو معروف للجميع لا يحتاج إلى تعريف، ولا يلتبس أمره على إنسان، ولكن العلماء نصّوا على تعريفه لبيان خصائص القرآن وميزاته، وما يكون حجة في استنباط الأحكام، وما يُتعبد بتلاوته، وما تجوز به الصلاة، وما يكفر جاحده به، وغير ذلك من الفوائد.

تعريف القرآن الكريم

وأشهر تعريف للقرآن الكريم هو: «كلام الله تعالى، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، باللفظ العربي، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب بالمصاحف، المُتعبد بتلاوته، المعجز بأقصر سورة منه، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس».

وبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خصائص القرآن الكريم وصفاته وفضائله، فقال: «كتابُ الله تعالى، فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، وهو الفصْل ليس بالهَزْل، من تركه من جبّار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبلُ الله المتين، ونورُه المبين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلتبس به

الألسنة، ولا يشبع منه العلماءُ، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن، إذ سمعته، حتى قالوا: «إنَّا سمعنا قرآناً عَجَباً، يَهدي إلى الرُشْد، فآمنا به»، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط المستقيم». وفي رواية أخرى: «إن هذا القرآن مأدبة الله ... والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لايزيغ فيُستَعْتَب، ولا يعوج فيقوم»[1].

تعريف علوم القرآن

لقد فجّر القرآن الكريم طاقات الأمة العربية والإسلامية، وبعثها بعد الرقاد وحركها بعد الثبات، وأحياها بعد الموت، ونقلها من مؤخرة الأمم إلى قيادة العالم، وكلفها حمل أمانة الدعوة لشعوب الأرض، فقامت بذلك خيرَ قيام، ورفعت مشعل الحضارة والمدنية على أرجاء المعمورة.

لذلك ترجع جميع العلوم إلى القرآن الكريم الذي له الفضل

(١) رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه (تحفة الأحوذي ٢١٨/٨) والحاكم (المستدرك ٥٥٥/١).

الأساسي في إيجادها ونشأتها وفي رعايتها والعناية بها، وتحقيق الخير والفائدة منها، سواء كانت علوماً شرعية أم غيرها[٢].

ولكن هناك مجموعة من العلوم الشرعية والمعارف الدينية التي تتصل مباشرة بالقرآن الكريم، وتتعلق بألفاظه ومعانيه، ونزوله وتدوينه، وحفظه ونقله، وتاريخه وقراءاته، سميت باسم علوم القرآن الكريم، وكثير من هذه العلوم استقل عن غيره، وصنفت فيه المؤلفات، واهتم بجانب خاص عن القرآن الكريم.

لذلك عرف العلماء علوم القرآن بأنها: «المباحث الكلية التي تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءاته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه ومنسوخه، ونحو ذلك»[٣].

وهذا التعريف يشير إلى أهم علوم القرآن كعلم التفسير،

---

(٢) جاء في «مفتاح السعادة» وأما العلوم المستنبطة من القرآن فبحر لا ساحل له، (٩٤/٢) وانظر البرهان ١٨١/٢.

(٣) انظر القرآن الكريم والدراسات الأدبية، للدكتور العتر، ص١٧.

وعلم القراءات ، وعلم الرسم العثماني ، وعلم إعجاز القرآن ، وعلم إعراب القرآن ، وعلم أحكام القرآن ، وغير ذلك .

نشأة علوم القرآن وتطورها

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى لله عليه وسلم الذي أمره ربه بتبليغه للناس ، فقال تعالى : ﴿يا أيها الرسولُ بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلغتَ رسالته ، والله يعصمُك من النَّاس﴾ المائدة /٦٧ ، وقام رسول الله بالتبليغ الكامل ، وأمر كل مسلم أن يقوم بذلك ، فقال عليه الصلاة والسلام : « بلِّغُوا عني ولو آية » ، كما أمر الله تعالى رسوله أن يبين للناس القرآن الكريم ، فقال تعالى : ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبينَ للناس ما نُزِّل إليهم﴾ النحل /٤٤ ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته وصحابته البيان الكامل ، فتناقلوه عنه ، ثم تناقله الصحابة فيما بينهم ، ثم تناقله التابعون عنهم ، لذلك كانت علوم القرآن بمعناها العام أول العلوم التي ظهرت في الإسلام ، وتميز كثير من علوم القرآن في عهد الصحابة ، ورسمت لها الحدود والمعاني الواضحة ، مثل رسم القرآن ، وكتابته ، وتدوينه ، وعلم أسباب النزول ، والمكي

والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأحكام القرآن، وتأويل مشكل القرآن، وفضائل القرآن، والأحرف السبعة، والقراءات، والمحكم والمتشابه، وعلم القصص.

ثم انتقلت هذه العلوم من التلقي الشفهي بين الصحابة والتابعين إلى الكتابة والتدوين من منتصف القرن الثاني الهجري.

أنواع علوم القرآن الكريم

تعددت الدراسات عن القرآن الكريم، وتنوعت البحوث، واستقل بعضها عن بعض، وكُتب في كثير منها مصنفات خاصة، وقد ذكر بدر الدين الزركشي سبعاً وأربعين نوعاً، وزادها الإمام السيوطي حتى جاوزت المائة، وسوف نشير إلى أهم هذه الأنواع وبعض الكتب فيها، ونفرد أهمها بالدراسة.

١ ــ **علم أسباب النزول**: الذي يبحث عن سبب نزول سورة أو آية، ووقتها ومكانها وغير ذلك، وكتب فيه شيخ المحدّثين علي بن المَدِيني (٢٣٤ هـ)، وابن مطرف الأندلسي (٤٠٢ هـ)، والشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن

علي بن الجَوْزي (٥٩٧ هـ)، وطُبع منها أسباب النزول للواحدي (٤٦٨ هـ)، وأسباب النزول للسيوطي (٩١١ هـ)[٤].

٢ ـ **علم إعجاز القرآن**: وكتب فيه كثيرون من القدماء كالخَطَّابي والرُّماني والرّازي والجُرْجاني والباقلاني وغيرهم. وتناولوا إعجاز القرآن من وجوه كثيرة، وخاصة الإعجاز البياني واللغوي[٥]، كما كتب كثير من المعاصرين في إعجاز القرآن العلمي وغيره.

٣ ـ **علم ناسخ القرآن ومنسوخه**: كتب فيه كثيرون، منهم مكيٌّ بن أبي طالب، وأبو جعفر النحَّاس، وأبو بكر بن العربي (٥٤٣ هـ)، وأبو داود السجستاني وأبو عُبَيد القاسم بن سَلَّام، والسيوطي وغيرهم[٦]، ومن المعاصرين الدكتور مصطفى زيد.

٤ ـ **علم أحكام القرآن**: وفيها مصنفات عظيمة مثل كتاب

---

(٤) انظر: كشف الظنون ١/٩٠، الاتقان ١/٢٩.

(٥) انظر كشف الظنون ١/١٢٠، الاتقان ٢/١١٦.

(٦) انظر كشف الظنون ١/٥٨٠.

ابن العربي والجَصّاص الرازي، والقرطبي، وأحكام القرآن للشافعي، والطحاوي والكيا الهراسي، وابن السراج وغيرهم[7].

٥ ــ **علم فضائل القرآن**: وأول من صنف فيه الإمام الشافعي (٢٠٤ هـ) وأبو العباس المستغفري (٤٣٢ هـ) ولأبي حسن الواحدي (٤٦٨ هـ) مختصر فيه، كما صنف فيه الحافظ ابن كثير (٧٧٤ هـ) وألحقه بتفسيره، وكتب غيرهم كتباً مستقلة، أو في مقدمة التفسير[8].

٦ ــ **علم تأويل مُشْكل القرآن**: وفيه كتاب ابن قتيبة.

٧ ــ **المحكم والمتشابه**: وفيه كتاب متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار، وكتاب «الجُمان في تشبيهات القرآن»[9].

٨ ــ **تاريخ القرآن وتدوينه ونسخه وكتابته ورسمه**: وفيه كتاب لابن أبي داود.

٩ ــ **علم إعراب القرآن**: وفيه كتاب «إملاء ما منّ به الرحمن

---

(٧) انظر كشف الظنون ١/٥٦.

(٨) انظر كشف الظنون ٢/٢٠٠.

(٩) لابن ناقيا البغدادي (٤٨٥ هـ) تحقيق الدكتور عدنان زرزور والدكتور محمد رضوان الداية.

في إعراب القرآن » للعكبري ، و « التبيان في غريب إعراب القرآن » للأبياري .

١٠ ــ علم تفسير القرآن .

١١ ــ علم القراءات .

وهذان العلمان الأخيران أهم علوم القرآن وأكثرها استقلالاً وتصنيفاً ، وسوف نفردهما بالبحث ، في مبحثين .

كما يجب التنبيه إلى أن كثيراً من هذه العلوم متداخلة ، وعندما يتعرض عالم إلى أحدها يعرض قسماً آخر منها ، بحسب اهتمامه وتخصصه ، وهو ما نلاحظه في علم التفسير ، وعند بعض المفسرين ، من ذكر القراءات ، وإعراب القرآن ، وإعجازه ، وأحكام القرآن ، ومكيه ومدنيه ، وترتيبه ، وفضله ...

كما يحسن الإشارة إلى أهم كتابين جمعا علوم القرآن ، إجمالاً ، دون التوسع في العلمين المهمين الأخيرين التفسير والقراءات ، وهذان الكتابان أهم مراجع علوم القرآن على الاطلاق ، وهما مطبوعان :

١ ــ **البرهان في علوم القرآن :** للإمام بدر الدين محمد بن عبد

الله الزركشي (٧٩٤ هـ)، مطبوع بدار إحياء الكتب العربية، لعيسى الحلبي، بالقاهرة، في أربعة أجزاء، ١٣٧٦ هـ /١٩٥٧م.

٢ ــ **الإتقان في علوم القرآن**: للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ) طبعة قديمة بالمطبعة الميمنية على نفقة مصطفى البابي الحلبي، بمصر ١٣١٧هـ، ثم طبع بعد ذلك.

المبحـــث الأول

علـم القـراءات



تعريف القـراءة

القراءات جمع قراءة، والقراءة لغـة مصدر قرأ، أمـا في الاصطلاح فقد عرَّف ابن الجزري القراءات، فقال: «القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة»[1]، أي أن هذا العلم يتعلق بطريقة النطق لألفاظ القرآن الكريم، مع تعدد الطرق، واختلاف الوجوه في الأداء المنقول حصراً عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمقرىء هو العالم بالقراءات التي تلقاها بالرواية المشافهة عن المختصين بها إلى أن تصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ويعلمها لغيره شفاهاً.

(١) القرآن والدراسات الأدبية، ص١٢٣ عن منجد القارئين، ص٣.

وعرّف طاش كبري زاده علم القراءة فقال: «علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالى، من حيث وجوه الاختلافات المتواترة»[٢] فتستمد مبادئه من النقل بالتواتر ومن العلوم العربية، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة.

ويهدف علم القراءة إلى الحرص علي كلام الله تعالى، والنطق به على الكيفية الصحيحة الكاملة كما أنزل، وصون اللسان عن الخطأ فيه، والاحتراز عن التحريف أو التبديل أو التغيير في القرآن الكريم صورة بالرسم، ونطقاً باللفظ، وكتابة بالخط.

نشأة علم القراءة وتطوره

نشأ علم القراءة أصلاً منذ اللحظات الأولى لنزول القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريق جبريل الأمين الذي نزل بكلام الله تعالى، وتلاه على رسول الله، وحدَّد له لفظه وكيفية تلاوته، ثم تلاه الرسول على الصحابة كما نزل، فحفظوه في الصدور، وكتبوه في الصحف عن طريق

(٢) مفتاح السعادة ٢/٦، وانظر كشف الظنون ٢/٢١٩، تاريخ الأدب العربي ٤/١ وما بعدها.

كتّاب الوحي، كما نزل، وتلوه في الصلاة وفي البيوت، ونقلوه إلى أولادهم وأصحابهم، ثم إلى التابعين، كما نزل وكما سمعوه من نبي الله صلى الله عليه وسلم.

ولكن القرآن الكريم نزل على سبعة أحرف، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعي لهجات القبائل العربية في النطق واللفظ، وتفرقت القبائل وهي تتلو القرآن الكريم على الحرف والكيفية التي تلقتها من الرسول صلى الله عليه وسلم، وجمع أبو بكر رضي الله عنه القرآن الكريم في مصحف واحد، وجاء عثمان رضي الله عنه وطلب من كبار القرّاء والحفّاظ وكتّاب الوحي أن ينسخوا سبعة نسخ للقرآن وزعها على الأمصار والعواصم الإسلامية. وخرجت الجيوش الإسلامية تحمل القرآن وتتلوه وتعلمه، وكل فرقة تقرأه على حسب ما سمعته ونقلته أو بحسب رسم مصحف عثمان، فاختلفت قراءة أهل الأمصار، كما اختلفت القراءة في الجيش الواحد، أو البلد الواحد، وقام الصحابة والتابعون والحفاظ والقراء إلى التحري والضبط والدقة في النقل والتلقين للناس، وحرص القراء على ذلك، وظهر أئمة من القراء فضبطوا

هذه الاختلافات ودونوها ونقلوها، والتزم كل واحد قراءة ومنهجاً، وعلّمه لتلامذته، ونقلوه بدقة، فصار كالمذهب، وعُرف بالقراءة.

واشتهر سبعة قرّاء في سبع قراءات، وظهر معها ثلاث قراءات، أقل شهرة، فصارت القراءات عشراً، ونتيجة الحصر التام للوجوه النادرة والشاذة عُرفت أربع قراءات أخرى، فصار المجموع أربع عشرة قراءة.

فالقراءة هي «مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها»[٣].

وصارت القراءة منسوبة إلى إمام مقرىء، وتعتمد على النقل بالإسناد المتواتر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والمقرىء هو العالم بالقراءات، الذي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٤]، مع الاعتماد على رسم المصحف العثماني

(٣) محاضرات في علوم القرآن ص١٠٧، وانظر مقدمة ابن خلدون ص٤٣٧.
(٤) انظر محاضرات في علوم القرآن ص١٠٨.

الصحيح قطعاً ، المنقول بالتواتر عن عدد كبير من الحفاظ والقراء .

أئمة القراء

استمرت قراءة القرآن منذ عهد النبوة حتى جميع العصور وإلى أن تقوم الساعة ، واشتهر في كل زمن عدد من القراء ، ففي عهد الصحابة كان أشهرَ القراء أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأُبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبدُ الله بن مسعود وأبو الدرداء عُوَيْمِر بن زيد وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وأبو هريرة وعبد الله بن السائب رضي الله عنهم .

وتعدد القراء في عهد التابعين وتفرقوا على المدن والأمصار ، ففي المدينة ظهر سعيد بن المسيِّب وعُرْوة بن الزبير وسالم بن عُتْبة وعمر بن عبد العزيز وسُليمان بن يَسار وعطاء بن يسار ، ومعاذ بن الحارث وعبد الرحمن بن هُرْمز الأعرج وابن شهاب الزهري وزيد ابن أسلم .

وفي مكة ، عُبَيْد بن عمير بن قتادة ، وعطاء بن أبي رباح وطاووس ومجاهد وعكرمة وابن مُلَيْكة ، وفي الكوفة عَلْقمة

والأسود بن يزيد وعَبيدة بن عَمْرو السلماني وعمرو بن شُرَحبيل والحارث بن قيس وعمرو بن ميمون وأبو عبد الرحمن السُّلَمي وسعيد بن جُبَيْر والنَّخَعي والشعبي، وفي البصرة أبو العالية وعُمران ابن تيم ونصر بن عاصم ويحيى بن يَعْمُر والحسن البصري وابن سيرين وقتادة، وفي الشام المغيرة بن أبي شهاب وخليفة بن سعد[٥].

وبعد التابعين ظهر الأئمة القراء الذين تجردوا للقراءة والأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، وصاروا أئمةً يُقتدى بهم، ويُرسل إليهم، ويُؤخذ عنهم، وأجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول، وكانوا في كل بلد عدداً، لكن اشتهر سبعة منهم، وتجمع الناس حولهم، ودونت كتبهم وقراءتهم[٦]، وهم المشهورون بالقراء السبعة:

١ ـ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني، (١٦٩ هـ) وأشهر

(٥) انظر مفتاح السعادة ٦/٢ وما بعدها.

(٦) انظر مفتاح السعادة ٢٦/٢، وما بعدها، مقدمة ابن خلدون ص٤٣٩، تاريخ التراث العربي ٢٥/١/١.

من نقل قراءته قالون ووَرْش.

٢ ـــ عبد الله بن كثير الداري المكي (١٢٠ هـ)، وأشهر الرواة عنه قنبل محمد بن عبد الرحمن المخزومي المكي (١٩١ هـ)، وأحمد بن محمد البزي (٢٥٠ هـ).

٣ ـــ أبو عمرو زبَّان بن العلاء البصري (١٥٤ هـ)، وأشهر الرواة عنه حفص بن عمر الدُّوري البغدادي (٢٤٦ هـ)، وصالح ابن زياد السوسي (٢٦١ هـ).

٤ ـــ عبد الله بن عامر اليَحْصُبي الشامي (١١٨ هـ)، وأشهر من روى قراءته هشام بن عمار السلمي الدمشقي (٢٤٥ هـ)، وعبد الله بن أحمد بن ذَكْوان (٢٤٢ هـ).

٥ ـــ عاصم بن أبي النَّجود الأسدي الكوفي (١٢٧ هـ)، وأشهر رواته حفص بن سليمان الأسدي (١٨٠ هـ)، وشعبة بن عيَّاش (١٩٣ هـ).

٦ ـــ حمزة بن حبيب الكوفي (١٥٦ هـ)، وأشهر رواته خلَّاد بن خالد (٢٢٠ هـ)، وخلف بن هشام (٢٢٩ هـ).

٧ ـــ علي بن حمزة الكسائي (١٦٩ هـ)، وأشهر رواته حفص ابن

عمر الدُّوري (٢٤٦ هـ)، والليث بن خالد البغدادي (٢٤٠ هـ).

قال الزركشي: «فائدة: قيل: قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو راجعة إلى أُبيّ، وقراءة ابن عامر إلى عثمان بن عفان، وقراءة عاصم وحمزة والكسائي إلى عثمان وابن مسعود»[٧].

وجاء الإمام أحمد بن موسى، المشهور بابن مجاهد (٣٢٤ هـ) ودوَّن القراءات السبع المعروفة في كتابه «القراءات السبع»[٨].

ثم جاءت القراءات المشهورة الثلاث، واعتبرها كثيرون أنها متواترة فصارت القراءات عشراً بإضافة ثلاثة قراء[٩] وهم:

(١) أبو جعفر يزيد بن القَعْقَاع المدني (١٣٠ هـ).
(٢) أبو محمد يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (٢٠٥ هـ).
(٣) أبو محمد خلف بن هشام البغدادي (٢٢٩ هـ).

---

(٧) البرهان في علوم القرآن ٣٣٨/١.
(٨) تاريخ التراث العربي ٤٣/١/١، محاضرات في علوم القرآن ص ١١٢.
(٩) انظر مفتاح السعادة ٤٣/٢.

كتب القراءات

كان حرص العلماء على حفظ كتاب الله تعالى ، والعناية به ، وتلاوته ، وقراءته دافعاً لهم على تصنيف الكتب في هذا المضمار ، لتدوين هذه القراءات وضبط أصولها وبيان أئمتها وحفَّاظها ورواتها وسندها ، والفروق بينها ، والاختلاف في أدائها ، حتى حظي الحرف الواحد بالقرآن الكريم بالرعاية الكاملة والضبط التام[١٠] ومن هذه الكتب المصنفة في هذا الموضوع :

١ ـــ التيسير لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد الأموي القرطبي ، المعروف في زمانه بابن الصيرفي (٤٤٤ هـ) .

٢ ـــ جامع البيان في القراءات السبع ، لأبي عمرو الداني ، وله كتب أخرى كالمُقنع في رسم المصحف ، والمحكم في النقط للمصحف ، والمحتوى في القراءات الشواذ ، وطبقات القراء .

٣ ـــ القصيدة اللامية في القراءات للشيخ الإمام القاسم بن فيرة

(١٠) انظر مفتاح السعادة ٤٧/٢ ، مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٨ ، كشف الظنون ٢١٩/٢ .

الشاطبي (٥٩٠ هـ) وله القصيدة الرائية نظم بها كتاب المقنع في رسم المصحف للداني .

٤ ـــ فتح الوصيد ، شرح الشاطبية في القراءات ، للشيخ علي ابن محمد السخاوي (٦٤٣ هـ) ، وله شرح الرائية للشاطبي .

٥ ـــ النشر في القراءات العشر للشيخ محمد بن محمد بن محمد ابن علي الجزري (٨٤٣ هـ) . وطُبع في مجلدين ، وله كتاب تحبير التيسير في القراءات العشر ، وطبقات القراء الصغرى ، ونظم طيبة النشر في القراءات العشر ، وله أولاد حملوا هذا العلم .

٦ ـــ غاية النهاية في طبقات القراء (الكبرى) لابن الجزري السابق .

٧ ـــ كنز المعاني شرح الشاطبية في القراءات للشيخ ابراهيم بن عمر الجعبري (٧٣٢ هـ) .

٨ ـــ **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي** محمد مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧ هـ) .

٩ ــ إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣٢٨ هـ)[١١].

١٠ ــ المبسوط في القراءات العشر، لأبي بكر أحمد بن الحسين ابن مهران الأَصْبَهاني (٣٨١ هـ)، نشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، بتحقيق سبيع حمزة حاكمي.

مخطوطات علم القراءات في مكتبة الأسد

إن الاهتمام بالقرآن الكريم، وحفظه وتلاوته، لا يمكن حصره، بل كانت مشايخ الإقراء، ومدارس القرآن شائعة ومنتشرة في كل قطر ومدينة وقرية، وكان في البلد الواحد عشرات من حفاظ القرآن والمهتمين به الذين ينقلونه شفاهاً، ويقرئونه من جيل إلى جيل، مع الرعاية والعناية بالقراءات وضبطها وكيفيتها وتطبيقها، وكان بعض الاهتمام منصباً على التدوين والتأليف والكتب، وظهرت المصنفات العديدة في علم القراءات، وهذه المصنفات تزيد في

(١١) وهذان الكتابان مطبوعان في مجمع اللغة العربية، بدمشق، بتحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، وكل كتاب في جزأين.

عددها عن أي علم من العلوم الأخرى على الإطلاق في كل مصر .

وكانت المكتبة الظاهرية ذات حظ وافر بالمخطوطات في علم القراءات، وهي تزخر بآلاف الكتب والرسائل والمنظومات والشروح في علوم القرآن عامة، وعلم القراءات خاصة .

وقام الأستاذ الفاضل صلاح الدين الخيمي ـ مدير المخطوطات بالظاهرية ـ بوضع فهرس علوم القرآن، وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق في ثلاثة أجزاء عام ١٤٠٤ هـ/١٩٨٤ م، وجاءت مخطوطات المصاحف والتجويد والقراءات في الجزأين، الأول والثاني، منها على سبيل المثال تسع عشرة نسخة خطية من كتاب «التيسير» لأبي عمرو الداني (٤٤٤ هـ) في القراءات السبع وشرحها[١٢] .

يضاف إلى ذلك عدة رسائل في علوم القرآن جاءت في مجاميع، وصنفها الأستاذ ياسين محمد السواس في «فهرس

(١٢) فهرس مخطوطات الظاهرية ـ علوم القرآن الكريم ٣٣٤/١، وانظر في فهرس القراءات في الجزء الأول ص ٤٩٤ ـ ٥٠١، وفي الجزء الثاني ص ٣٦١ ـ ٢٧٣، وانظر تاريخ التراث العربي ٢٥/١/١، وما بعدها.

مخطوطات الظاهرية ـ مجاميع»[13] (1/437 ـ 440)
(2/395 ـ 396). كما يضاف لها مخطوطات علوم القرآن في المكتبة الأحمدية بحلب التي انتقلت إلى مكتبة الأسد.

الفرائض (المرجع السابق 1/12 ـ 13)آ

(13) طبع بمجمع اللغة العربية بدمشق في جزأين (1403 هـ ـ 1983 م).



المبحث الثاني

علم التفسير



علم التفسير أحد العلوم الشرعية الأساسية، لأنه يتعلق بالقرآن العظيم الذي أنزله الله تعالى هداية للناس ورحمة ونوراً، ويبحث عن معاني كلام الله تعالى الذي أمرهم بتدبره، وتفهم معانيه، ومعرفة أحكامه، ليدركوا عظمة الله تعالى، وفضله عليهم، وحقه عندهم، ليقوموا بما أمرهم به، ويجتنبوا عما نهاهم عنه، قال تعالى: ﴿كتابٌ أنزلناه إليكَ مبارَكٌ ليدَّبَّروا آياتِه، وليَتَذَكَّرَ أولو الألباب﴾ سورة ص / ٢٩، وقال تعالى: ﴿أفلا يَتَدَبَّرون القرآنَ﴾ النساء / ٦٢.

تعريف علم التفسير

التفسير لغة هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله

تعالى: ﴿ولا يأتونَك بمثلٍ إلا جئنَاكَ بالحقِّ وأحْسَنَ تفسيرا﴾ الفرقان /٣٣، أي بياناً وتفصيلاً.

والتفسير في الاصطلاح الشرعي له عدة تعريفات، ترجع كلها إلى معنى واحد، وهو بيان كلام الله تعالى، أو أنه المبيّن لألفاظ القرآن ومفهوماتها، أو أنه علم يبحث عن مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية(١٤).

وعرفه الزركشي بأنه: «علم يُبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى، بقدر الطاقة البشرية»(١٥).

وهذا التعريف شامل لمعظم علوم القرآن، مع أن علم التفسير أحد علوم القرآن، لكنه أهمها على الإطلاق نظرياً وعملياً وعلمياً، وأن المفسر يتناول أكثر علوم القرآن عند محاولته كشف المعنى المراد من الآية الكريمة، ولذلك يدخل علم القراءات في

(١٤) انظر التفسير والمفسرون ١٤/١، مفتاح السعادة ٦٢/٢، تاريخ الأدب العربي ٧/٤.

(١٥) انظر الاتقان للسيوطي ١٧٣/٢، البرهان للزركشي ١٤٧/٢.

التفسير، لأن المعنى قد يختلف باختلاف القراءتين أو القراءات، ويدخل في التفسير علم الرسم، لأن المعنى قد يختلف أيضاً باختلاف الرسم القرآني في المصحف، وهكذا علم أسباب النزول، وتاريخ القرآن، وإعرابه، ومكيه ومدنيه، وبلاغته وبيانه، وإعجازه وأحكامه، وألفاظه وجمله، وتراكيبه ومعانيه، وناسخه ومنسوخه، وهذا ما يتناوله التفسير الموسع، وتجد بعضه في التفاسير المتوسطة والوجيزة، بحسب اهتمام المفسر ومنهجه وغايته[١٦].

ويهدف علم التفسير إلى تحصيل القدرة الكافية على استنباط الأحكام الشرعية بوجه صحيح، ومعرفة المنهج الإلهي القويم، والتذكير بحق الله على عباده، وإنقاذهم من شرك الضلال، وشباك الشيطان، وتغذية قلوبهم ونفوسهم وأرواحهم من كلام الله تعالى، والارتواء من حوض القرآن الكريم ومعينه الذي لا يَنْضب، مع الاتعاظ بحكمه، والاستزادة من فضله، والأنس بجانبه، والاهتداء بهديه، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، تطبيقاً

---

(١٦) عدد السيوطي العلوم التي تدخل في التفسير وأنها تصل إلى خمس وخمسين نوعاً. (تمام الدراية ص ٢٦، النقاية ص ٢٦٢).

لقوله تعالى : ﴿إِنَّ هذا القُرآنَ يَهْدي للتي هي أقومُ﴾ الإسراء/٩ .

التفسير والتأويل

ويعبر عن تفسير القرآن الكريم باصطلاح التأويل، ويرى كثير من العلماء أن التفسير والتأويل مترادفان، وبمعنى واحد، بينما يرى آخرون أنهما مختلفان، وتختلف الآراء في بيان الفرق بين التفسير والتأويل، والمشهور عند المتأخرين أن التفسير بيان المعاني التي تستفاد من وضع العبارة، والتأويل هو بيان المعاني التي تستعاد بطريق الإشارة، أو أن التفسير يرجع إلى معرفة المعنى بالنقل والرواية، والتأويل معرفة المعنى بالاجتهاد والاستنباط والرأي وترجيح أحد محتملات اللفظ، ويرى السلف أن التفسير والتأويل مترادفان[(١٧)].

ونظراً لأهمية التفسير، وقدسية كلام الله تعالى، فقد بيَّن العلماء أن التفسير يتوقف على معرفة عدد من العلوم، وهي علم اللغة والنحو والصرف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات

(١٧) انظر التفسير والمفسرون ١/١٥، وما بعدها، البرهان ١٤٦/٢، ١٤٩، الاتقان ١٤٢/٢، ١٧٣، إتمام الدراية ٢٥.

وأصول الدين وأصول الفقه، وأسباب النزول، والقصص، والناسخ والمنسوخ، والفقه، والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم، وعلم الموهبة الذي يورثه الله تعالى لمن يعمل بما يعلم مع إخلاص النية، وصحة الاعتقاد ولزوم سنة الدين[١٨].

أنواع التفسير

تناول العلماء تفسير القرآن بأوجه متعددة، ومناهج كثيرة، وغايات نبيلة، ولذلك تنوعت التفاسير وأخذت أسماء مختلفة، واصطلاحات متباينة.

أولاً: أوجه التفسير

بيَّن إمام المفسرين عبد الله بن عباس أوجه التفسير، فقال: «التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير تعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى»[١٩].

---

(١٨) انظر مفتاح السعادة ٩٢/٢، الاتقان ١٧٥/٢ ١٨٠، وما بعدها، البرهان ١٥٣/٢.

(١٩) البرهان ١٦٤/٢، الاتقان ١٨١/٢.

فأما الذي تعرفه العرب فهو الذي يرجع فيه إلى لسانهم، من اللغة والإعراب وعلوم العربية، وسبيل المفسر التوقف فيه على ما ورد في لسان العرب.

وأما التفسير الذي لا يُعذر أحد بجهله فهو ما يتبادر إلى الأفهام من معرفة معناه من النصوص التي تتضمن شرائع الأحكام ودلائل التوحيد.

وأما التفسير الذي يعلمه العلماء فهو ما يرجع إلى اجتهادهم في استنباط دقائق المعاني الخفية وأوجه البلاغة والإعجاز، وأدلة الأحكام الفقهية، ويسميه بعضهم بالتأويل الذي يحتاج للاجتهاد والبحث، دون التفسير الذي يقتصر على النقل[٢٠].

وأما التفسير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو ما يتعلق بحقائق المغيبات كالروح والملائكة وقيام الساعة والحروف المقطعة وكل متشابه في القرآن إلا إذا ورد نص ــ بالتوقيف ــ على بيانه

(٢٠) البرهان ١٦٦/٢، الاتقان ١٨٢/٢، محاضرات في علوم القرآن ص ١٣٦.

بنص من التنزيل أو بيان النبي صلى الله عليه وسلم، أو إجماع الأمة على تأويله[٢١].

ثانياً: أنواع التفسير بحسب مصدره

لقد جاء تفسير القرآن من مصادر متنوعة، وهي متدرجة من حيث الدقة وقوة البيان وتحديد المعنى وإحكام القصد، وهي:

١ ــ تفسير القرآن بالقرآن: وذلك أن يبين القرآن معنى آية بآية أخرى، أو يشرح لفظاً مُجْملاً بلفظ مُبيَّن، أو يحدد المراد من اصطلاح شرعي خاص[٢٢]. مثل قوله تعالى ﴿فتلقَّى آدمُ منْ ربِّه كلماتٍ﴾ البقرة /٢٣، مع قوله تعالى: ﴿قَالا ربَّنا ظلمنا أنفسَنا وإنْ لم تَغْفِر لنا وتَرْحَمْنا لنكونَنَّ منَ الخَاسرين﴾ وآيات خلق الإنسان من تراب، أو من طين، وقوله تعالى: ﴿حتى يتبينَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ منَ الفجرِ﴾ البقرة /١٨٧.

٢ ــ تفسير القرآن بالسنة: وهو في الدرجة الثانية، وتتفاوت

---

(٢١) البرهان ١٦٦/٢.

(٢٢) البرهان ١٧٥/٢، ١٨٦، الأتقان ١٧٥/٢.

درجته مع قوة السند في الحديث، فالحديث الصحيح الثابت أو المتواتر، أو ما سمعه الصحابة من الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة كان تفسيراً محكماً، مثل تفسيره الظلم بالشرك، استناداً إلى قوله تعالى ﴿إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيمٌ﴾ لقمان / ١٣، تفسيراً لقوله تعالى ﴿الذينَ آمنوا ولمْ يَلْبِسُوا إيمانَهم بظلمٍ﴾ الأنعام / ٨٢، وتفسيره «الحساب اليسير» بالعرض، كما رواه البخاري[٢٣].

وهذا ما أفردته كتب السنة في باب التفسير مما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، مع الاحتراز مما نسبه الوضاعون والكذابون من أحاديث في هذا الخصوص.

٣ ــ **التفسير بالاجتهاد والاستنباط**: وهو ما صدر عن الصحابة أولاً، ثم عن التابعين ومن بعدهم، بالاستعانة باللغة وعادات العرب وأسباب النزول وما امتاز به كل مفسر من الفهم والعلم وسعة الإدراك.

---

(٢٣) انظر البرهان ١٥٦/٢، وما بعدها، الاتقان ١٧٤/٢، ١٩٠، وما بعدها.

٤ ــ التفسير المعتمد على أهل الكتاب : من اليهود والنصارى فيما لم يرد بيانه مفصلاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجاءت قصته مجملة في القرآن الكريم عن الأمم السالفة وبقية الأنبياء ، وهو ما عرف بالإسرائيليات ، وقد تحفظ الصحابة وكبار المفسرين من هذا النوع من التفسير ، ولم يقبلوا إلا ما يتفق مع عقائد الدين ، ولا يعارض القرآن الكريم(٢٤) .

ثالثاً : أنواع التفسير بحسب المنهج العلمي

ينقسم التفسير بحسب المنهج العلمي الذي سلكه علماء التفسير إلى قسمين :

١ ــ التفسير بالمأثور : وهو تفسير القرآن بالاعتماد على النقل والرواية والإخبار ، ويشمل تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسير القرآن بالسنة ، وتفسير القرآن من الصحابة ، وأضاف كثيرون ما نقل من التفسير عن التابعين .

---

(٢٤) انظر محاضرات في علوم القرآن ص١٣٨ ، ١٤٩ ، التفسير والمفسرون ٣٢/١ ، ٣٧ ، مقدمة ابن خلدون ص٤٣٩ .

والتفسير بالمأثور أول أنواع علوم القرآن تدويناً، وروي مع الحديث ثم انفصل واستقل[٢٥].

وأشهر كتب التفسير بالمأثور جامع البيان للطبري، وبحر العلوم للسمرقندي، والكشف والبيان للثعالبي، ومعالم التنزيل للبغوي، وتفسير ابن عطية، وتفسير ابن كثير، والدر المنثور للسيوطي.

٢ ـ التفسير بالرأي: وهو تفسير القرآن بالاجتهاد وذلك بالاعتماد على كلام العرب ودلالة الألفاظ وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ وبقية الأدوات التي يحتاج إليها المفسر[٢٦].

وللعلماء موقفين في جواز التفسير بالرأي وعدمه، والصواب التفصيل بين قبول التفسير بالرأي المحمود الموافق لكلام العرب وأدلة الشرع، وبين رفض التفسير بالرأي المذموم الذي يتم بدون الحصول على العلوم المطلوبة للتفسير، وتفسير المتشابه الذي لا يعلمه

---

(٢٥) محاضرات في علوم القرآن ص١٤٨، التفسير ورجاله ص١٣، التفسير والمفسرون ١/١٥٢، البرهان ٢/١٧٢.

(٢٦) انظر التفسير والمفسرون ١/٢٥٥، محاضرات في علوم القرآن ص١٥٢.

إلا الله، والتفسير المقرر للمذاهب الفاسدة، والتفسير بالاستحسان والهوى، والتفسير بالقطع والجزم على مراد الله تعالى من غير دليل، والتفسير الباطني، وحمل الألفاظ على غير معناها العربي[٢٧].

وأهم كتب التفسير بالرأي: مفاتيح الغيب للرازي، والكشاف للزمخشري، وأنوار التنزيل للبيضاوي، ومدارك التنزيل للنسفي، ولُباب التأويل للخازن، والبحر المحيط لأبي حيان، وروح المعاني للألوسي.

رابعاً: أنواع التفسير من الناحية الموضوعية

نظراً للعلوم المتفاوتة التي تتعلق بالقرآن الكريم وتستمد منه فقد فسر القرآن كثير من العلماء من الناحية العلمية والموضوعية التي يهتم بها كل منهم، ولذلك ظهرت أنواع متعددة للتفسير، ونشير إليها باختصار:

---

(٢٧) انظر الاتقان ١٨٢/٢، البرهان ١٧٩/٢. وتختلف الآراء أحياناً في اعتبار أحد التفاسير من القسم الأول أو الثاني.

١ ـ تفسير ألفاظ القرآن الكريم وكلماته: مثل تفسير مفردات القرآن للراغب الأصبهاني، وغريب القرآن للسجستاني.

٢ ـ تفسير آيات الأحكام: مثل تفسير أحكام القرآن للشافعي، وأحكام القرآن للجصاص الرازي، وأحكام القرآن لابن العربي، وأحكام القرآن للكيا الهراسي، وأحكام القرآن للقرطبي، ويمكن تسمية هذا النوع بالتفسير الفقهي[٢٨].

٣ ـ التفسير الصوفي النظري: الذي يقوم على البحث والدراسة والتأثر بالنظريات الفلسفية، ويحاول أن يجد في القرآن ما يشهد له أو يستند إليه، فيتعسف في فهم الآيات القرآنية ويشرحها شرحاً يخرج بها عن ظاهرها الذي يؤيده الشرع وتشهد له اللغة، وذلك كتفسير ابن عربي[٢٩].

٤ ـ التفسير الإشاري أو التفسير الصوفي الفيضي: وهو تأويل القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة،

---

(٢٨) التفسير والمفسرون ٩٨/٣.

(٢٩) التفسير والمفسرون ٥/٣، وما بعدها، الاتقان ١٨٣/٢ ــ ١٨٤.

وعند تفسير المعاني الباطنية خلطوا عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، ويرد التفسير الإشاري في تفسير ابن عربي، وتفسير القرآن العظيم للتستري (٢٨٣ هـ). وحقائق التفسير للسُّلمي (٤١٢ هـ)، وعرائس البيان في حقائق القرآن لأبي محمد الشيرازي (٦٠٦ هـ)، والتأويلات النجمية لنجم الدين الداية (٦٥٤ هـ)، وأكمله علاء الدولة السمناني (٧٣٦ هـ) وغيرهم[٣٠].

٥ ـ **التفسير الفلسفي**: وله طريقتان، طريقة تأويل النصوص الدينية والحقائق الشرعية بما يتفق مع الآراء الفلسفية، بحيث تخضع النصوص لهذه الآراء، وطريقة شرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية، فتطغى الفلسفة على الدين وتتحكم في نصوصه، كتفسير الفارابي (٣٣٩ هـ) في كتابه «فصوص الحكم»، والتفسير الموجود في رسائل إخوان الصفا، وتفسير بعض الآيات والسور لابن سينا (٤٢٨ هـ) وهو شيخ هذه الطريقة[٣١].

---

(٣٠) التفسير والمفسرون ٤٥/٣، البرهان ١٧٠/٢.

(٣١) التفسير والمفسرون ٨٣/٣.

٦ ــ **التفسير العلمي**: وهو التفسير الذي يحكِّم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها، ويربط خاصة بين القرآن وعلوم الكون والعلوم التطبيقية، ويظهر ذلك في كلام الغزالي في «إحياء علوم الدين» عن فهم القرآن وتفسيره بالرأي، وفي كتابه «جواهر القرآن»، ثم يسير معه الجلال السيوطي في كتابه «الإتقان» في النوع الخامس والستين، وفي كتابه «الإكليل في استنباط التنزيل» ونقل ذلك تفصيلاً عن أبي الفضل المرسي[٣٢]، وهو ما يحاوله الكثيرون في عصرنا الحاضر كتفسير طنطاوي جوهري وغيره.

٧ ــ **التفسير اللغوي**: الذي يتعلق بعلوم اللغة العربية في الإعراب والنحو والبيان والبديع وفيه كتب كثيرة كإعراب القرآن كعلم مستقل أو كفرع من علم التفسير[٣٣] وأفرده جماعة بالتصنيف كالشيخ مكي بن أبي طالب (٤٣٧ هـ)، والحوفي (٥٦٢ هـ)، والعَكْبُري (٦١٦ هـ)، والسفاقسي (٧٤٢ هـ)، والصَرْخدي

---

(٣٢) التفسير والمفسرون ٣/١٤٠.

(٣٣) انظر كشف الظنون ١/١٢١.

(٧٥٦ هـ)، وتفاسير إعجاز القرآن، وفيه مصنفات لأبي بكر الباقلاني والرُّماني والرافعي، ومنها الكشّاف للزمخشري.

نشأة علم التفسير وتدوينه

يظهر من أنواع التفسير في القسم الأول والثاني أن التفسير حقيقة ظهر مع نزول القرآن الكريم، ثم مع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم وتفسيره، وذلك بتوضيح أحكام الله تعالى الواردة في القرآن الكريم، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول مفسر للقرآن الكريم نظرياً وعملياً، وهو أعلم البشر بمعاني كتاب الله وإدراك أسراره، ومعرفة مقاصده.

والقرآن الكريم نزل بلغة عربية على أمة عربية، فكان الصحابة يدركون معانيه، ويفهمون ألفاظه، ويحيطون بمقاصده وتراكيبه، ويعلمون أسباب نزول الآيات ومناسبتها، وإذا أشكل عليهم منه شيء، أو ورد فيه اصطلاح ديني معين، فزعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عنه، ويقفون على مراد الله تعالى فيه. وكان القرآن الكريم دستور حياتهم، ومنهج معيشتهم، وغذاء أرواحهم، وملجأ قلوبهم، ومهوى أفئدتهم، وملء عيونهم وجفونهم،

لذلك ظهرت آثاره عليهم بالتربية والتوجيه ، والإعداد والإصلاح ، والتقدم والازدهار ، فكانوا بحق جيل القرآن الفريد بفهمه والتفاعل معه .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وظهور الاختلاف في الاجتهاد والرأي بين الصحابة رضوان الله عليهم ، ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، وتسرب العجمة إلى داخل الدولة الإسلامية ، وبزوغ النواة الأولى لبعض الفرق والمذاهب ، حاول الجميع الاعتصام بالقرآن ، والاعتماد عليه ، والاحتجاج ببعض آياته ، فظهر الاختلاف في تفسيره ، وتصدى كبار الصحابة إلى بيان المعنى الصحيح ، والتفسير المقبول لآيات الله ، وتبوأ عدد من الصحابة مركز الصدارة في تفسير القرآن الكريم ، معتمدين على ما تلقوه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما عرفوه من أسباب النزول والناسخ والمنسوخ وما أدركوه من مقاصد الشريعة ، وما يملكونه من ملكة لغوية .

وأبرز المفسرين من الصحابة : الخلفاء الأربعة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، وأكثر من تصدى لذلك منهم علي كرم الله وجهه الذي كان يقول : « سلوني عن كتاب الله ،

فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليلٍ نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل » .

وكان يقول أيضاً : « والله مانزلت آية إلا وقد علمت فيم أُنزلت ، وأين نزلت ، إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً سؤولاً »[٣٤] .

ومن الصحابة المفسرين عبد الله بن مسعود الذي كان يقول مثل ما قال علي ، ومنهم أُبي بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعري وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم .

وعُرف ابن عباس بأنه تَرْجمان القرآن ، وحَبْر الأُمة ، ورئيس المفسرين ، كما ورد شيء من التفسير عن أنس وابن عمر وأبي هريرة وجابر وابن عمرو[٣٥] .

وروى التفسير عن ابن عباس في مكة عدد من كبار التابعين ، منهم مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس ،

---

(٣٤) مفتاح السعادة ٦٤/٢ .

(٣٥) انظر مفتاح السعادة ٦٤/٢ ، الاتقان ١٨٦/٢ ، التفسير والمفسرون ٦٣/١ .

وطاوس، وعطاء بن أبي رباح، كما روى التفسير عن ابن مسعود عدد من علماء الكوفة كعلقمة والأسود بن يزيد النَّخَعي وعَبِيدة ابن عمرو السَّلماني وعمرو بن شُرَحبيل وغيرهم.

وقام العلماء من التابعين برواية التفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة، ثم أضافوا اجتهادهم ورأيهم واستنباطهم من الكتاب الكريم.

وجاءت الطبقة التالية من صغار التابعين وتابعي التابعين فدوَّنوا الروايات السابقة في التفسير، وأفردوها عن علم الحديث، وظهرت لأول مرة كتب التفسير بالمأثور التي تجمع أقوال الصحابة والتابعين في القرن الثاني الهجري مثل تفسير مجاهد (١٠٤هـ) وتفسير عطاء الخراساني (١٣٣هـ) والناسخ والمنسوخ لقتادة (١١٨هـ)، والناسخ والمنسوخ وكتاب التنزيل كلاهما للزهري (١٢٤هـ)[٣٦] وكان عبد الملك بن جُرَيْج (١٤٩هـ) أول من جمع الأخبار المتعلقة بالتفسير في كتاب[٣٧].

---

(٣٦) انظر تاريخ التراث العربي ١/١/٥٦، التفسير والمفسرون ١/١٠٤، ١٤٠، كشف الظنون ١/٢٩٩.

(٣٧) انظر التفسير ورجاله ص ٢١.

وفي هذا العصر دُوِّنت العلوم الأخرى، وتطور تصنيف التفاسير بحذف الأسانيد من جهة، مع جمع الروايات المختلفة من جهة أخرى، كما ظهر التأثر بالعلوم المختلفة كالنحو والإعراب والقراءات والفقه وعلم الكلام والعلوم العقلية، وصنف كل قوم تفسيراً مع مراعاة العلم الذي يتقنه المفسر، أو يراه مهماً ومؤثراً لفهم كلام الله تعالى، فظهرت التفاسير المتنوعة بحسب الموضوعات مع التفسير بالرأي، كما أشرنا سابقاً[٣٨].

كما بدأ منهج النقد للروايات والنصوص المتعلقة بالتفسير، لبيان الصحيح والضعيف، مع وضع القيود والشروط للمفسر التي نص عليها الإمام محمد جرير الطبري في مقدمة تفسيره[٣٩] وصنف بعدها أعظم تفسير، وأقدم تفسير وصل إلينا كاملاً، وهو «جامع البيان عن تأويل القرآن» أو تفسير الطبري[٤٠].

---

(٣٨) انظر كشف الظنون ١/٣٠٠، مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٠، التفسير ورجاله ص٢٣، الاتقان ٢/١٨٨، وما بعدها.

(٣٩) تفسير الطبري ١/٥، ٣٩، ٤٠.

(٤٠) انظر تاريخ التراث العربي ١/١/٥٥، ٦٣، ٨٣، ١١٢، الاتقان ٢/١٩٠.

كتب التفسير

إن الكتب التي تناولت تفسير القرآن الكريم لا يحصيها العد ولا الحصر، وهي متفاوتة في التوسع والتوسط والاختصار، كما تختلف من الناحية الموضوعية، وقد طُبع كثير منها، ولا يزال معظمها مخطوطاً لم يطبع، كما أن تفسير القرآن الكريم لم ينقطع طوال التاريخ الإسلامي، ولم يتوقف في بلد من البلدان، ولا يزال العلماء في الماضي والحاضر والمستقبل يعكفون على كتاب الله تعالى تدبراً وفهماً وبياناً وتفسيراً، وقد أشرنا إلى أهم كتب التفسير سابقاً فلا نعود لتكرارها.

مخطوطات كتب التفسير في مكتبة الأسد

لقد حظي القرآن الكريم بالعناية والرعاية بصورة لم يصل إليها كتاب آخر في الدنيا، وإن تفاسير القرآن الكريم أطبقت ديار الإسلام، وعمَّت جميع عصوره وأزمانه وبلدانه، وكان نصيب بلاد الشام فيها طيباً ومباركاً، وتحوي المكتبة الظاهرية بدمشق عدداً كبيراً من المخطوطات التي تتناول تفسير القرآن كاملاً، أو تفسير

بعض سوره، أو بعض آياته، وقد نقلت المخطوطات كاملة إلى مكتبة الأسد.

وقام الأستاذ صلاح محمد الخيمي بوضع فهرس كامل لمخطوطات التفسير وجاءت في مجلد كامل، ضمه إلى مجلدين آخرين في القراءات والتجويد، وظهر فهرس علوم القرآن في ثلاثة أجزاء، طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٤ م، مع فهارس في آخر كل جزء لتسهيل الاستفادة منه[٤١]. يضاف إلى ذلك مخطوطات التفسير في المكتبة الأحمدية بحلب التي انتقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق.

---

(٤١) وضع الأستاذ الدكتور عزة حسن «فهرس مخطوطات الظاهرية في علوم القرآن» وطبعه مجمع اللغة العربية بدمشق في مجلد سنة ١٣٨١ هـ/١٩٦٢.



الفصل الثاني

علم الحديث



تعريف الحديث

عرَّف العلماءُ الحديث بأنه: «ما أُضيف إلى النبي صلىَ الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة»[1]، هذا التعريف يرادف لفظ السنة، ويبين أقسام السنة وأنواعها، وهي:

١ ـ السنة القولية: وهي الأحاديث التي قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع المناسبات والأغراض، وقد سمعها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ونقلوها عنه، وهي تشكل السوَاد الأعظم من السنة، وتمتاز بالفصاحة والبلاغة والبيان النبوي الذي صرَّح به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُتيتُ جوامعَ الكَلِم، واخْتُصِرَ

(١) أصول الفقه الإسلامي، لنا، ص١٤٥، طرق التدريس التربية الإسلامية، لنا، ص٣٠٦، منهج النقد ص١٩.

لي الكلامُ اختصاراً » والأمثلة على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم «إنّما الأعمالُ بالنيّات» «لا ضررَ ولا ضرارَ في الإسلام» «الدينُ النَصِيحةُ» «لا يؤمن أحدُكم حتى يُحِبَ لأخيه ما يُحبُّه لنفسه».

٢ ـــ **السنة الفعلية**: وهي الأفعال والتصرفات التي كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقوم بها في حياته ونقلها لنا الصحابة رضوان الله عليهم بالوصف الدقيق في مختلف شؤون حياته الخاصة، كما نقلها أزواجه وأهل بيته، وحياته العامة التي يراها سائر الصحابة، وتمتاز السنة الفعلية بأهمية خاصة في تطبيق الشرع والأحكام، وفي مجال التربية بالاقتداء والتأسي والالتزام العملي بالدين، كتطبيق أحكام الصلاة والحج والتعامل والجهاد والقضاء ومعاملة العدو والصديق.

٣ ـــ **السنة التقريرية**: وهي ما أقرَّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مما صدر عن بعض الصحابة من أقوال وأفعال، بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه ورضاه، فيكون إقراره وموافقته على القول أو الفعل كأنه صادر عنه، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسكت على باطل، ولا يقر منكراً، وهذا موقف

العالم والمربي والداعية والمدرس الذي يبين الشرع والحق والصواب، ويقر الآخرين على التصرف السديد، ولا يسكت على منكر صدر منهم كقوله صلى الله عليه وسلم «صدَق سلمانُ» في قوله «إنَّ لربك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فأعط كل ذي حقٍ حقه»، وإقراره صلى الله عليه وسلم للصحابة في صلاة العصر في بني قريظة، وإقراره لمن ذبح أو حلق في الحج، وإقراره علياً رضي الله عنه في القضاء باليمين، وإقراره لمعاذ ابن جبل في منهج القضاء بين الناس.

٢ ـ السنة الوَصْفية: وهي الأوصاف الخَلْقِية والصفات الخُلُقية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القسم لا يدخل في مجال التشريع والفقه، ولكنه يدخل في مجال الحديث الشريف والسيرة النبوية بقصد التربية، والتمثل بالأخلاق الفاضلة، والتهذيب، والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفة صفاته صلى الله عليه وسلم التي تزيد في محبته واحترامه وتقديره وطاعته والالتزام بهديه والتمسك بأخلاقه وسيرته، وزيادة الاقتناع باصطفائه للنبوة، واختياره للرسالة، ونجاحه في الدعوة.

ويدخل في التعريف السابق كلُّ ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سواء قصد به التشريع أم لا، وسواء كان صادراً عنه بالصفة البشرية وبمقتضى الطبيعة الإنسانية أم كان صادراً عنه بمقتضى خبرته الشخصية، أم في مجال التشريع، أم كان خاصاً به صلى الله عليه وسلم من أحكام وصفات، لأنَّ كل هذا داخل في كتب الحديث، ويطَّلع عليه المسلم، ويستفيد بما فيه، ويرشد الطلاب والناس إليه.

أهمية الحديث

تظهر أهمية الحديث من خلال المبادىء العامة التالية:

١ ــ **الحديث أو السنة**: هو المصدر التشريعي الثاني للمسلمين بعد القرآن الكريم، ويجب إتباعه والعمل به بنص كتاب الله تعالى قال عزّ وجل: ﴿وما آتاكم الرسولُ فخذوهُ، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ الحشر/٧، وقال أيضاً: ﴿منْ يُطِعَ الرسولَ فقد أطاعَ اللهَ﴾ النساء/٨٠، وقال: ﴿ياأيُّها الذين آمنُوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ، وأولي الأمر منكم﴾ النساء/٥٩، وقال أيضاً: ﴿فإنْ

تنازعتُم في شيءٍ فردُّوهُ إلى اللهِ والرَّسولِ، إنْ كنتم تؤمنون باللهِ واليوم الآخر﴾ النساء/٥٩ .

٢ ـ **السنة بيان للقرآن الكريم**، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مكلف من الله بتبليغ القرآن ﴿يا أيُّها الرسولُ بَلِّغ ما أُنزلَ إليك من ربك﴾ ومكلف أيضاً ببيانه للناس بياناً كاملاً وشافياً، لقوله تعالى ﴿وأنزلْنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ النحل / ٤٤، وجاءت السنة مبينةً حقيقة القرآن، بأن تكون مؤكدة لما جاء في القرآن الكريم، مثل حديث «بُني الإسلام على خمس»، فإنه تأكيد للآيات الكثيرة التي أمرت بالصلاة والصيام والزكاة والحج. وقد تكون السنة شارحة ومفسرة لما جاء في القرآن مجملاً أو عاماً أو مطلقاً كالأحكام التفصيلية في العبادات والمعاملات والأخلاق، وقد تأتي السنة بأحكام جديدة غير مذكورة في القرآن، لقوله تعالى ﴿ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ﴾ آل عمران / ١٦٤، الجمعة / ٢، فالكتاب هو القرآن، والحكمة هي السنة كما قال العلماء والمفسرون، فمن ذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها، وتحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب

من الطير ، وقد تأتي السنة دليلاً على نسخ حكم أو آية في القرآن ، أو تكون بنفسها ناسخة عند الجمهور .

٣ ـ السنة وحي من عند الله تعالى من حيث المعنى ، وليست من عند الرسول عليه الصلاة والسلام إلا باللفظ ، قال تعالى : ﴿ وما يَنْطِقُ عن الهوى ، إنْ هو إلا وحيٌ يُوحى ﴾ النجم /٣ ـ ٤ ، وقال عليه الصلاة والسلام :«ألا إني أُتيتُ القرآن ومثله معه» وبذلك تكون السنة في مرتبة القرآن الكريم من حيث وجوب الاتباع ، وكونها من عند الله ، وأن الصحابة لم يفرقوا بين حكم ثبت بالقرآن ، وحكم ثبت السنة ، وإنما تفترق السنة عن القرآن ، بأن القرآن نزل من عند الله بلفظه ومعناه ، وأما السنة فمعناها وحي من الله ، ولفظها من عند رسول الله ، ولذلك كان الرسول عليه الصلاة والسلام كثيراً ما يتوقف عن الحكم في قضية ما انتظاراً للوحي من الله عز وجل .

٤ ـ إن الرسول صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وتقريراته وأخلاقه وسيرته هو الترجمة العملية للقرآن الكريم ، وهو حجة على المسلمين في وجوب الاتباع والتأسي به ، ويمتاز الحديث باقتران

القول مع العمل، واللفظ مع الفعـل، والمثاليـة مع الواقعيـة، والمبادىء مع التطبيق، والتوجيه مع التنفيذ، وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة وأسوة في الدعوة والتعليم، وكانت الصورة الحقيقية والصحيحة للإسلام.

٥ ـ السنة مصدر رئيسي للسيرة النبوية وتراجم الصحابة، وهي تعطينا صورة المجتمع الإسلامي الكامل، وتضمن لنا الوصف التام لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم كمثل أعلى في الحياة الزوجية، والاجتماعية، والعاطفية، ورئاسة الدولة، ومعاملة الناس، وقيادة الجيش، وخوض المعارك، ومعاملة الأعداء...، وفي جميع المجالات.

نشأة علم الحديث

كان الحديث يصدر عن الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع حياته وتصرفاته، فيسمعه الحاضر، ثم ينقله إلى غيره، وكان الصحابة إذا غابوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعمالهم الخاصة والعامة ثم حضروا، سألوا فوراً وباستمرار عما صدر من رسول الله، وكان عليه الصلاة والسلام يحثُّ على ذلك، فقال:

« بلّغوا عني ولو آية » وقال: « نَضَّرَ الله امرأً سَمِعَ مقالتي فوعاها، وأدَّاها كما سَمِعَها، فرُبَّ حاملِ فقهٍ إلى منْ هو أفقه منه » وفي رواية « فرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى منْ سامع » كما قام عدد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنافس في حفظ الأحاديث وروايتها، وقام بعضهم بتدوينها وكتابتها مع حفظها الدقيق في القلوب والعقول.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم انطلق الصحابة في التعليم والدعوة والفتوح لنشر الإسلام، وهداية الأمم، وخرجوا من الجزيرة العربية معلّمين ومرشدين، وتفرق الصحابة في الأصقاع ينشرون العلم، ويبلغون الحديث، وكلما فتحوا بلداً بقي عدد منهم يدعون إلى الإسلام ويعلمون الناس الأحكام، ويتلون عليهم القرآن، ويروون لهم الأحاديث، وكان الخلفاء يبعثون كبار الصحابة لتعليم الناس أمور دينهم في كل قطر، حتى قال عمر رضي الله عنه لأهل الكوفة حين أرسل لهم عبد الله بن مسعود معلماً « وقد آثرتُكم بعبد الله على نفسي »[٢].

---

(٢) أسد الغابة ٢٥٨/٣، عن منهج النقد في علم الحديث ص١٧، الإعلام بمناقب الإسلام ص١١٣.

وانتقلت هذه الصورة المشرقة إلى التابعين ومن بعدهم في الحرص على العلم وسماع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وروايته، وظهر أمر جديد، وهو عدم اكتفاء التابعين بما سمعوه من الصحابة في بلادهم، بل شرعوا بالرحلة إلى حاضرة الدولة الإسلامية وعاصمة العلم وموطن الصحابة في المدينة المنورة ليسألوهم عن الأحاديث، وشاع مبدأ (الرحلة في طلب الحديث)، ليتثبتوا من روايته شفاهاً بالسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لكن الناس دخلوا في دين الله أفواجاً، وانضوت شعوب وأمم تحت لواء الإسلام، وتفاوت بينهم الإيمان والعلم والوعي، وظهر التساهل بالرواية، ثم الوهن، ثم حاول بعض ضعاف الإيمان، وأعداء الإسلام إلى الدس عليه، واختلاق الأقاويل ونسبتها إلى السنة، فتنبه العلماء لذلك، واحتاطوا في الرواية عن الثقات العدول المعروفين بالورع والتقوى وقوة الحفظ والضبط، ووضعوا القواعد المحكمة، والمبادىء الدقيقة، والمنهج القويم لسماع الحديث ونقله وتدوينه، وقبول الصحيح، ورد الضعيف والموضوع، والتوقف في المشتبه، وظهر إلى الوجود ــ ولأول مرة في تاريخ الأمم والشرائع

والأديان والشعوب ــ علم الحديث الذي يعتبر من خصائص الأمة الإسلامية المشرفة، بوضع قوانين الرواية، وأصبحت (أصح وأدق طريق علمي في نقل الروايات واختيارها حتى كان علم النقد في التاريخ الحديث مديناً للمسلمين، بل إنه مقتبس عن أصول مصطلح الحديث الإسلامي)[3].

تعريف علم الحديث

علم الحديث كتعبير لغوي هو إدراك الحديث أو معرفة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الاصطلاح عرفه السيوطي فقال: (**علم بقوانين يُعرف بها أحوال السند والمتن**)[4].

أي هو الادراك والمعرفة والاطلاع على القواعد والضوابط التي تكشف عن صفات وكيفية حكاية رجال الحديث الذين رووه

---

(٣) منهج النقد في علوم الحديث ص٢٧، والنص من مقدمة الدكتور العتر المحقق لكتاب علوم الحديث لابن الصلاح ص٢، محاضرات تاريخ العلوم ص٤٠، أصول الحديث ص١٠، تاريخ الأدب العربي ١٥١/٣، وما بعدها.

(٤) النقاية ص٢٦٧ على هامش مفتاح العلوم.

واحداً عن واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة الكلام دقةً وضبطاً وترتيباً ولفظاً الذي نطق به الرسول عليه الصلاة والسلام، وما يتعلق بالمتن من رفع، أو وقف، أو شذوذ، أو اضطراب، أو صحة، أو قطع[٥].

ويهدف علم الحديث إلى حفظ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وصونها عن الخلل في النقل، أو الخلط في الرواة والسند، أو الدس والافتراء في المتن، ومعرفة المقبول من المردود، والصحيح من غيره، بقصد حفظ الدين من التحريف والتبديل، والدقة في نقل الأمة للحديث النبوي، والتحرر من التساهل أو الخطأ أو التفريط أو الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حذّر من ذلك، ورهّب من هذا العمل الشنيع، والصنيع الخطير بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المتواتر: «مَنْ كذبَ عليَّ متعمِّداً فليَتَبَوَّأْ مقعدَه من النَّار» وتمّ بفضل علم الحديث وجهودِ العلماء فيه حفظُ الأحكام الشرعية، ونقلها للأمة والأجيال المتلاحقة، وتصفيته من الخرافات والإسرائيليات والأباطيل وما

(٥) انظر أصول الحديث ص٨، منهج النقد ص ٢٤، وما بعدها.

تسرب إلى البلاد الإسلامية من أديان فارس والهند وفلسفات اليونان والرومان .

أقسام علم الحديث

استعمل العلماء المسلمون علم الحديث بمعناه العام السابق، ثم أطلقوه على قسمين :

الأول : علم الحديث رواية أو علم رواية الحديث

وهو علم يشتمل على أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وصفاته وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها[٦] .

أي هو العلم الذي يبحث عما نُقل وأُضيف للنبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة نقلاً أميناً ودقيقاً ومحرراً، مع دراسة السند، ومعرفة الرواة، وضبط الرواية، وفهم معنى الحديث وما يستنبط منه من الأحكام والتوجيهات والعظات والفوائد، ليصل البحث إلى النتيجة الأساسية في قبول الحديث لصحته، ثم الأخذ بما فيه، والعمل بأحكامه، وبث الحياة العملية

(٦) انظر منهج النقد ص٢٣، أصول الحديث ص٧.

بالسنة خاصة والشرع عامة، وتتحقق مقاصد الشريعة، والهدف من البعثة النبوية، والرسالة الإلهية.

الثاني: علم الحديث دراية، أو علم دراية الحديث

ويطلق عليه مصطلح الحديث، أو علوم الحديث، أو أصول الحديث أو علم الحديث. ويعرف بالتعريف السابق: (علم بقوانين يعرف بها أحوال السند والمتن) أو هو (علم يعرف منه حقيقة الرواية، وشروطها، وأنواعها، وأحكامها، وحال الرواة، وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها)(٧).

أي أن هذا العلم يهتم بوضع القواعد العامة لعلم الحديث، والعلم السابق ـــ الرواية ـــ في كل حديث بعينه لقبوله أو رده، وتطبيق القواعد السابقة عليه لضبط الرواية وشرحها، فهو بحث جزئي تطبيقي، (فالفرق بينهما كالفرق بين النحو والإعراب، وكالفرق بين أصول الفقه وبين الفقه)(٨).

---

(٧) أصول الحديث ص ٧.

(٨) منهج النقد ص ١٦، ويرى آخرون أن علم الرواية يتعلق بكيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث الرواة ضبطاً وعدالةً، ومن حيث السند

وقد مر هذان العلمان بمراحل النشوء والتطور والنضج والكمال، وكان أحدهما مستقلاً عن الآخر، ثم انضم الفرعان، وصارا كالجسد الواحد، وصُنفت فيهما التصانيف المشتركة، والقواعد الكلية مع تطبيقها والتفريع عليها، كما سيأتي.

أنواع علوم الحديث

بحث العلماء في علوم الحديث أو مصطلح الحديث أو علم أصول الحديث عدة أمور وجعلوها من أنواعه، وأوصلها بعضهم إلى مائة نوع، نعدد أهمها:

منها **أقسام الحديث**، الصحيح والحسن والضعيف، **وأنواع الحديث الضعيف** كالمنقطع والمعضل والمضطرب، ومنها طرق التحمل والأداء وحسن السماع، ومباحث الجرح والتعديل، وشروط الجارح والمعدل، ومراتب الجرح والتعديل، ومعرفة الرواة وأوطانهم، وتمييز الثقات من الضعفاء، ومعرفة ورود الحديث، والناسخ والمنسوخ منه، وكتابة الحديث وكيفية الضبط، والحديث

اتصالاً وانقطاعاً، وعلم الدراية يبحث عن المعنى المفهوم من الحديث، والمعنى المراد من اللفظ (مفتاح السعادة ٢/٦٠، ١٢٨).

المتواتر والمشهور والآحاد، وآداب المحدث، وآداب طالب الحديث، وغريب الحديث، ومعرفة الصحابة والتابعين، ومعرفة الأسماء والكنى، وغيرِ ذلك[٩]

كتب الحديث

إن الاهتمام بالحديث رواية ودراية، وعلماً وتعليماً، وسماعاً وحفظاً، وكتابة وتدويناً، وتصنيفاً وتأليفاً لم ينقطع في عصر من العصور، وكان شائعاً ومنتشراً في جميع الأصقاع الإسلامية من الهند وما وراء النهر وفارس إلى العراق وتركيا وبلاد الشام والحجاز ومصر والمغرب العربي وإفريقيا والأندلس وأوروبا، كما شارك فيه أتباع جميع المذاهب الفقهية، والعقائدية والفرق المتنوعة.

ويمكننا تقسيم هذه الثروة الحديثية العظيمة إلى قسمين أساسيين:

(٩) انظر أصول الحديث ص ١١، مقدمة ابن خلدون ص ٤٤١، علوم الحديث لابن الصلاح ص ٧.

القسم الأول: كتب الحديث التي تتناول علوم الحديث ومصطلحه ورجاله، وهي كثيرة جداً نعدد بعضها:

منها المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الرامَهُرْمُزي (٣٦٠ هـ)، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٤٦٣ هـ)، والإلماع للقاضي عياض (٥٤٤ هـ)، ومعرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري (٤٠٥ هـ)، وعلوم الحديث لابن الصلاح (٦٤٣ هـ)، والإرشاد للنووي (٦٧٦ هـ)، وتدريب الراوي للسيوطي (٩١١ هـ)، والتقييد والإيضاح للحافظ العراقي (٨٠٦ هـ)، ونخبة الفكر لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، وميزان الاعتدال للذهبي (٧٤٨ هـ)، وتذكرة الحافظ له[١٠].

القسم الثاني: كتب الحديث التي دونت جميع ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعضه، وبعضها كتب تضم أنواعاً من الحديث الصحيح والحسن والضعيف، وبعضها مخصص

---

(١٠) انظر منهج النقد ص٥٦، وما بعدها، مفتاح السعادة ٢/٦٠، كشف الظنون ١/٤٢٢، ٢/٥٢، ١٥٥.

للحديث الصحيح والحسن غالباً، وبعضها للحديث الصحيح فقط، كما يختلف التصنيف فيها، فبعضها مرتب على أبواب الفقه، وبعضها مرتب على مسانيد الصحابة، أي جمع الأحاديث التي رواها كل صحابي على حدة.

ومن هذه الكتب الموطأ للإمام مالك، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والجامع الصحيح للترمذي، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند الإمام أحمد، وجامع الأصول لابن الأثير، والمستدرك للحاكم، ومجمع الزوائد للهيثمي، ورياض الصالحين للنووي، والترغيب والترهيب للمنذري، ومصنف ابن أبي شيبة، وسنن الدارمي، والجامع الكبير للسيوطي، وغير ذلك كثير وكثير، وقد جمع معظم هذه الكتب السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني (١٣٤٥هـ) في كتابه القيم «الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة» المطبوعة بدار الفكر بدمشق.

ويضاف إلى ذلك كثير من كتب الفهارس والمعاجم لترتيب الأحاديث النبوية، ومنها «المعجم المفهرس لإلفاظ الحديث النبوي» لعدد من المستشرقين في سبعة مجلدات ضخمة، مع

الكتب القيمة المصنفة في عصرنا الحاضر في مختلف أقطار العالم الإسلامي، ومنها شروح الأمهات كفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ)، وشرح الإمام النووي (٦٧٦ هـ) على صحيح مسلم، وتحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (١٣٥٣ هـ)، وعارضة الأحوذي لابن العربي (٥٤٣ هـ)، ومعالم السنن للخطابي (٣٨٨ هـ)، ومنها كتاب النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري (٦٠٦ هـ).

مخطوطات علم الحديث في مكتبة الأسد

بالرغم من نتاج المطابع الوفير والكبير لكتب الحديث، **فإن المخطوطات فيه لا تزال كثيرة، وقد لا يحصيها العدُّ والحصر** في العالم، وتفخر سورية بوجود عدد وافر من مخطوطات علم الحديث ومصطلحه، وفي مدونات الحديث النبوي، اختار بعضها الأستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ورتبها وفهرسها، ثم طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق في مجلد كبير (٥١٦ صفحة) بعنوان فهرس مخطوطات الظاهرية ـــ المنتخب من مخطوطات الحديث ١٣٩٠ هـ/ ١٩٧٠م، ورتبه على الأعلام فذكر لكل

شخص الكتب والرسائل الموجودة له، مثل الآجري، وله ١٦ مخطوطة، ثم آدم بن أبي إياس، وبلغ عدد العلماء ٧٣٨ عالماً، وعدد النسخ بدون تكرار ١٥٧٨ نسخة، وعدد النسخ مع التكرار ٢١٠٠ نسخة خطية.

وقال الشيخ الألباني في المقدمة «إن في المكتبة الظاهرية كنوزاً من الكتب والرسائل في مختلف العلوم النافعة التي خلفها لنا أجدادنا رحمهم الله تعالى، وفيها من نوادر المخطوطات التي قد لا توجد في غيرها من المكتبات العالمية، مما لم يطبع بعد»[١١].

وقال أيضاً: «اكتشفت بعض المؤلفات والأجزاء والكراريس القيمة التي لم يكن من المعلوم سابقاً وجودها في المكتبة أصلاً، أو كاملة، لذهاب الورقة الأولى وغيرها منها، لذلك خفيت على بروكلمان وغيره من المفهرسين»[١٢].

ثم قال عن المنتخب من مخطوطات الحديث: «فيه كثير من الكتب التي ليس لها علاقة عادة بعلم الحديث مثل كتب

---

(١١) فهرس المخطوطات الظاهرية ـ المنتخب من مخطوطات الحديث ص٦.

(١٢) المرجع السابق ص٧.

التاريخ والسيرة والقراءات والتفسير....، وغيرها وعذري أنني كنت أحتاج للرجوع إليها كثيراً، ولا سيما وأكثرها شديد الصلة بعلم الحديث»[١٣].

وفي آخر الكتاب فهرس طويل للمؤلفات مرتبة على الحروف (ص ٤٣٩ ــ ٥١٥).

كما وردت رسائل كثيرة جداً في الحديث وعلومه في المجاميع، وذكرها الأستاذ ياسين محمد السواس في (**فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع**) المطبوع في مجلدين، بمجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م[١٤].

ويضاف إلى مخطوطات الحديث وعلومه المخطوطات التي وصلت إلى مكتبة الأسد من المكتبة الأحمدية بحلب، وجمعت في فهرس خطي كبير.

(١٣) المرجع السابق ص٩.
(١٤) انظر فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع ١/٤٤١ ــ ٤٥١، ٢/٣٩٧ ــ ٣٩٩.

الفصـــل الثالـــث

علـم التوحيـد



تعريف وبيان

علم التوحيد أهم العلوم الشرعية على الإطلاق، لأنه يتعلق بالإيمان والعقيدة وأساس الإسلام، لذلك سمّاه كثير من العلماء بعلم أصول الدين.

كما عُرف فيما بعد بعلم الكلام، ويُدَرَّس حديثاً باسم العقيدة، لذلك كانت هذه المصطلحات: الإيمان، وعلم التوحيد، وعلم أصول الدين، وعلم الكلام، وعلم العقيدة، ألفاظاً مترادفة موضوعها واحد، وتختلف من حيث الأعراض والأوصاف المتعلقة بها.

والإيمان لغة وحقيقة هو التصديق، وهو في اصطلاح

الشرع أن يؤمن الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر .

والإيمان بتعبير آخر هو (ما انعقد عليه القلب ، وصدَّقه اللسان ، وعملت به الجوارح) .

وعرَّف السيوطي علم أصول الدين بأنه : «علم يَبْحَثُ عما يجبُ اعتقاده»[1] .

وسماه العلماء علم أصول الدين ، لأنه يبحث في أركان الدين ، وأعظم مبادئه ، وأول أهدافه وغاياته ، وهو الإيمان ، وإنَّ بقية أحكام الدين فروع له ، ومبنية عليه .

وسمي هذا العلم بعلم التوحيد لأن منطلق الإيمان وأساسه ، وسر وجوده ، هو التوحيد المطلق لله تعالى ، الذي أمر القرآن به في قوله تعالى : ﴿قُلْ هو الله أحدٌ ، الله الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، ولم يُولَدْ ، ولم يكنْ لَهُ كُفواً أحد﴾ سورة الإخلاص ، وأن التوحيد (هو العقيدة الإيمانية ، وهو الذي تحصل به السعادة)[2] .

---

(١) إتمام الدراية ص٤ ، النقاية ص ٢٦٠ .

(٢) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ .

ولما تطور الأسلوب عن الإيمان والعقيدة والتوحيد ـ في العصر العباسي ـ إلى المحاورة والمناظرة والمجادلة والحجاج، وأُلحق به بعض المسائل الجزئية في صفات الله والإمامة والخلافة، سُمِّيَ علم الكلام، وعرفه ابن خلدون فقال: «علم الكلام: هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات، عن مذاهب السلف وأهل السنة»(٣).

أما العقيدة لغة فهي ما عقد عليه القلب والضمير، أو هي ما تديَّن به الإنسان واعتقده، والاعتقاد هو الإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل(٤).

والعقيدة اصطلاحاً: هي البديهة التي تستقر في العقل الباطن للإنسان، وتؤثر في حدسه وشعوره، وتوجهه في تفكيره وسلوكه(٥)، أو هي ما يؤمن به الإنسان من حقائق الوجود، وما يعتقد بحقيقته من الأخبار والتصورات.

---

(٣) مقدمة ابن خلدون ص٤٥٨، وعرّفه حاجي خليفة بإنه علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشُبه عنها، (كشف الظنون ٣٢٦/٢)، وانظر مفتاح السعادة ١٥٠/٢.

(٤) كشاف اصطلاح الفنون ٩٥٤/٤.

(٥) تعريف عام بدين الإسلام، الطنطاوي ص٣٧، طرق تدريس التربية الإسلامية،

والعقيدة لفظ مولَّد مستحدث، لا نعثر عليه في الكتب القديمة، وإنما ظهر هذا اللفظ في الدراسات الحديثة، ويستعمل مفرداً، وجمعاً على عقائد.

ولا بد أن تكون العقيدة مبنية على العلم اليقيني والتصديق الجازم الذي لا يتطرق إليه شك، والدليل المنطقي الصحيح في النظر إلى الكون والحياة والإنسان وخالقها، وهذا لا ينطبق إلا على العقيدة الدينية الصحيحة، ولكن هذا اللفظ استعمل تَجَوُّزاً في التصورات المختلفة والمبادىء الوضعية، والنظريات المادية، لذلك ظهر الاصطلاح الجديد (العقيدة الإسلامية) للدلالة على الإيمان وأصول الدين، تمييزاً لها عن غيرها من العقائد[٦].

ولا يشك أحد في أهمية العقيدة والإيمان في حياة الأفراد والأمم والمجتمعات، وأنهما الغاية الأولى في بعثة الأنبياء وإنزال الكتب السماوية، كما أنهما الأساس في التشريع، والمنطلق لجميع شؤون الحياة، ومحور وجود الإنسان وتصرفاته.

لنا، ص٣٢٧، العقيدة الإسلامية، حبنكة ص ٣٠.

(٦) انظر الإعلام بمناقب الإسلام ص٨٣، ١٨١، ١٨٢.

نشأة علم التوحيد وتطوره

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين للناس أركان العقيدة والإيمان بكل بساطة تباشر حشاشة القلوب، ويتلو عليهم آيات القرآن التي تذكر فروع الإيمان وجزئياته، فيتقبلها الصحابة كاملة، ويفهمونها بسليقتهم، ويسلمون بما جاء فيها، ويفوضون كثيراً من كيفيتها وتفاصيلها إلى رب العالمين، مع اعتقادهم بها وتصديقهم لها، باعتبار أنها من الغيبيات التي أمروا بالإيمان بها، دون إدراك حقيقتها وكنهها، ﴿الذين يُؤْمِنُونَ بالغيبِ﴾ البقرة /٣، وهذا ما عبر عنه الإمام مالك عندما سئل عن الاستواء في قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ على العرش استوى﴾ طه /٥، فقال: «الاستواءُ معلوم، والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة»، واستمر هذا المنهج لدى عدد كبير من المسلمين حتى وقتنا الحاضر، ويطلق عليه مذهب السلف في الصفات، أو مذهب التفويض فيها لله تعالى.

لكن الأمر لم يبق على هذا المنوال، وظهرت الدراسات في علم التوحيد مبكرة في صدر الإسلام، وارتبطت بالأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية، وأهمها أمران: الخلافة والقدر، وتفصيل ذلك فيما يلي:

لقد أصبحت الإمامة والخلافة قبل وبعد مقتل سيدنا علي كرم الله وجهه موضع نقاش شديد، وجدل حاد، وقام الخوارج في مواجهة الشيعة حول فكرة الإمامة، ووقف أكثر المسلمين مع الخلافة الأموية في موضع وسط بين الفريقين، وفي موضع النقد والتجزيح منهما، كما بدأ الخوارج نقاشهم عن الإمامة مع الشيعة والمرجئة معاً، وتطور النقاش حتى وصل إلى القدر، ولذلك عدَّ فلهاوزن، وأيده فؤاد سزكين، أن الخوارج هم مؤسسو الدراسات العقيدية في الإسلام(٧).

وفي ذات الوقت كانت مسألة القدر مثاراً للجدل والمراء والنقاش، ثم ظهرت المذاهب، وقام أناس بعصيان الله تعالى، ويحتجون بأن ذلك كان في علم الله وقدره، وقال عطاء بن يَسار ومَعْبَد الجهني للحسن البصري: هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم، ويقولونَ: إنَّما تجري أعمالنا على قدر الله، بينما قال آخرون بنفي القدر وأن الإنسان على الاختيار المطلق، وكان من نتيجة ذلك ــ فيما بعد ــ ظهور فرقة الجبرية ومذهب القدرية(٨).

---

(٧) تاريخ التراث العربي ٤/٤/١، تاريخ الأدب العربي ٢١/٤، وما بعدها.

(٨) مفتاح السعادة ١٦٢/٢.

وقام العلماء والأئمة من التابعين بالتأليف والرد على القدرية، وكثر التأليف في هذا المجال قبل نهاية القرن الهجري الأول كرسالة أبي الأسود الدؤلي (٦٩ هـ) ويحيى ابن يَعْمَر (٨٩ هـ) وعبد الله بن إسحاق الحضرمي (١١٧ هـ) وأبي عمرو بن العلاء، وعمر بن عبد العزيز، وكلهم لهم رسائل في الرد على القدرية والمعتزلة.

كما كانت صفات الله تعالى محلاً للنقاش والدراسة والخلاف في القرن الهجري الثاني، وغالى كل فريق فيها، وكانوا بين إفراط وتفريط، وتعصب وتطرف، وظهرت فرق المجسِّمة والمشبهة وغيرهما.

كما ظهرت المعاصي في المجتمع، وثار النقاش حول مرتكب الكبيرة، فكفَّره بعضهم، وهم الخوارج، وقال آخرون: لا يضر مع الإيمان معصية، وهم المرجئة، وقالت المعتزلة: إن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، وأثبتوا منزلة بين المنزلتين[٩].

وبين هذه الفرق المتطرفة وقف جمهور علماء المسلمين

---

(٩) مفتاح السعادة ١٦٢/٢.

بشرح العقيدة والإيمان من القرآن والسنة، بدون تطرف ولا إفراط، وكانوا يعلمون الناس، ويكتبون فيها المصنفات.

وظهر عامل جديد من العصر العباسي، وهو انتشار الإسلام في بلاد الحضارات القديمة، ودخول الشعوب المختلفة في الإسلام، ثم تُرجمة كتب اليونان والرومان والفرس إلى العربية وبدأ الصدام الفكري، والحرب الثقافية بين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى، وبرز للعيان المنطق اليوناني والفلسفة الإغريقية والرومانية التي واجه أصحابها علماء المسلمين بالطعن والتشكيك والهجوم، وتسرب ذلك إلى داخل البلاد الإسلامية، وحمل لواءه بعض الملحدين والشعوبيين والمنافقين وأعداء العرب والإسلام.

وهنا تأكد الدافع العميق لدراسة علم أصول الدين، ودراسة المنطق اليوناني والاطلاع على الفلسفات القديمة المتنوعة لاستخدامها سلاحاً في وجه أصحابها، والرد عليهم بنفس الأسلوب والسلاح، مع الحرص على الإسلام، والدعوة إليه، ورد الشبهات عنه، وتفنيد حجج الطاعنين به خارج الدولة الإسلامية، وفي داخلها، وخاصة الباطنية وغيرها من الفرق الضالة، الذين تستروا بالإسلام، للدس فيه، والتشكيك فيه، وإثارة الشبه بين

المسلمين، وزرع البلبلة في العقيدة، والتشويه في الأفكار، ودس المبادىء الدخيلة والباطلة بين أفراد المسلمين وفرقهم ومذاهبهم، مع الاستعانة بفلسفة اليونان، ومنطق الرومان، وأوهام المجوس والفرس والهنود، وعقائدهم الدينية الوثنية حتى أمر المهديُّ في منتصف القرن الثاني الهجري علماء الجدل والكلام بتصنيف الكتب في الرد على الملحدين وأهل الزيغ.

ونهض العلماء يدرسون الفلسفات والثقافات الأجنبية، يتعمقون بها، ويسبرون غورها، ويعرفون أسرارها، ليستخدموها في الرد على أصحابها، وكشف زيفها، ولجؤوا إلى أسلوب المناطقة والاعتماد على الحجج الفكرية، والأدلة المنطقية حتى عرف علم التوحيد، أوعلم أصول الدين، بعلم الكلام: (إما لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرف، وليست براجعة إلى عمل، وإما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفسي لله تعالى)[١٠].

وأول من حمل هذا اللواء، وتحمس له، هم المعتزلة الذين

(١٠) مقدمة ابن خلدون ص٤٦٥، وانظر الإعلام بمناقب الإسلام ص١١٤.

حققوا انتصارات حاسمة في وجه الفرق المنحرفة، والتيارات الوافدة، والآراء الدخيلة، وكانوا يمجدون العقل، ويرفعونه مكاناً عالياً لمواجهة الأعداء.

وتولى المعتزلة منذ القرن الثاني الهجري لواء الدفاع عن الإسلام عقيدة وشريعة، من الجانب العقلي، وفي علم الكلام والفلسفة ضد أعدائه، ومرت فترات طويلة، كانت المعتزلة هي الفارس الوحيد في هذا الميدان للوقوف ضد الفلسفة الإغريقية التي كانت وراءها دولة بيزنطة والديانة النصرانية، وضد الفلسفات الفارسية والهندية والوثنية، وما شابهها، أو تفرع عنها من أديان ومذاهب، وما تسرب منها إلى الفرق، وخاصة الباطنية[(١١)].

لكن المعتزلة لم تقتصر على إشهار السيف والجدل مع غير المسلمين بل سلطت أسنتها على أهل السنة والجماعة، واعتمدت على نفس السلاح العقلي في فهم القرآن، وفي تحديد مفاهيم الإسلام، مما أوقعهم في خبط شديد، وانحراف كبير، وسلطوا سلاحهم على نفس المسلمين، واستطاعوا إقناع بعض الخلفاء

---

(١١) انظر الإمام الجويني، لنا، ص٣٦، ٩٣، تاريخ التراث العربي ٥٩/٤/١.

والحكام بآرائهم، لقوة حجتهم العقلية، وحاولوا حمل الناس بالسلطة والقوة والإكراه عليها، كالقول بخلق القرآن والتنزيه العقلي في صفات الله تعالى، ومسألة نفي الرؤية وغيرها، ووقف جماهير المسلمين والعلماء في وجههم، وتحملوا العذاب والاضطهاد والتنكيل، ودامت الفتنة بذلك فترة طويلة، وخاصة في خلافة المأمون والمعتصم والواثق، وثبت العلماء والأئمة أمام هذا التيار، وأظهر الإمام أحمد بن حنبل صموداً رائعاً في الثبات على الحق، حتى رفع الخليفة المتوكل الامتحان القسري، وطلب منع المناظرات والمجادلات العلنية، لكن استمر النزاع الفكري على أشده مما دفع حماة الإسلام، وعلماء الدين، الذين يغارون على أمتهم ودينهم، ويحملون لواء الدعوة، ويشعرون بثقل المسؤولية، ويحسون بالأمانة الملقاة على عاتقهم أن يشمِّروا عن سواعدهم لتفنيد آراء المعتزلة والدفاع عن العقيدة والشريعة، ونقض الفلسفات المادية، والأوهام الوثنية، وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وكشف الغطاء أمام المسلمين بالتدريس والتعليم والتوجيه، والدعوة والتأليف، واعتمدوا على الحجج العقلية، مع الأدلة النقلية لتأييد العقيدة التي وردت في الكتاب والسنة، والرد على أصحاب الأهواء والضلال، ولإنقاذ

المسلمين من سعير المعتزلة الذي صبوه عليهم، إلى أن خرج المعتزلة من حلبة السباق والنزاع والقتال الفكري، واقتصروا على التأليف والكتابة والبحث والتدريس في القرن الرابع والخامس الهجري، ثم أحيط بهم وارتفع النكير عليهم، وانقرضوا في نهاية القرن الخامس الهجري بعد أن تركوا آثارهم في العقيدة عند الشيعة الإمامية والزيدية.

وظهر في هذا المجال ـــ ممن حل محل المعتزلة ـــ مذهب الماتُريديّة ومذهب الأشعرية الذين قاموا بالتأليف والتصنيف والدعوة لبيان منهج الإسلام في العقيدة وأصول الدين بالأدلة العقلية والأدلة النقلية، بالإضافة إلى العلماء الذين حافظوا على مذهب السلف بالاقتصار على الحجج النقلية والوقوف عند النصوص اعتقاداً وسلوكاً ودعوةً.

والماتريدية نسبة إلى الإمام أبي منصور محمد بن محمود الماتُريدي، الحنفي، إمام الهدى الذي مات بسمر قند سنة ٣٣٣ هـ، وصنف كتاب التوحيد، وكتاب المقالات، وكتاب تأويلات القرآن، وله كتب في الرد على المعتزلة والقرامطة والروافض [١٢].

(١٢) انظر مفتاح السعادة ١٥١/٢، تاريخ التراث العربي ٤٠/٤/١.

والأشعرية نسبة إلى شيخ السنة، ورئيس الجماعة، وإمام المتكلمين أبي الحسن الأشعري البصري الذي كان إمام المعتزلة أربعين سنة، ثم تخلى عنهم، وأخذ بمذهب أهل السُّنة والجماعة، وقام على نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة والصفات، وبدأ بالرد على المعتزلة وتفنيد حججهم وأدلتهم ومذهبهم، وألف كتابه المشهور «مقالات الإسلاميين»(١٣).

وقام الإمام أبو بكر الباقلاني، محمد بن الطيِّب، القاضي (٤٠٣ هـ) فتصدر للإمامة على طريقة الأشعري وهذبها، ووضع المقدمات العقلية التي تتوقف عليها الأدلة والأنظار، وصنف «التمهيد في الرد على الملاحدة المعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة» و «البيان» و «مناقب الأئمة في نقض المطاعن على سلف الأمة» و «الانتصاف» و «كشف الأسرار في الرد على الباطنية» و «الإبانة عن إبطال مذهب أهل الكفر والديانة» وغيرها(١٤).

ثم جاء بعده إمام الحرمين الجُوَيْني (٤٧٨ هـ)، وحجةُ

---

(١٣) انظر مفتاح السعادة ١٥٢/٢، مقدمة ابن خلدون ص٤٦٥، تاريخ التراث العربي ٣٥/٤/١.

(١٤) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٦٥، تاريخ التراث العربي ٤٧/٤/١.

الإسلام الغزالي (٥٠٥ هـ)، والإمام فخر الدين الرازي (٦٠٦ هـ)، والقاضي البيضاوي الذي جمع بين الطرق (٦٨٥ هـ)، وغيرهم ممن صنف في «العقيدة» أو «التوحيد» أو «الأصل» أو «الإيمان» أو «أصول الدين» أو «الفقه الأكبر»[١٥]، وقد انقرض كثير من الملاحدة المبتدعة والمذاهب المتطرفة[١٦]، ليبقى الدين والعقيدة صحيحاً صافياً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

خصائص العقيدة الدينية وأهميتها

تمتاز العقيدة الإسلامية بمجموعة من الميزات والخصائص الذاتية، وهي السر في بقائها على مدى الدهور، واختيارها خاتمة الرسالات، وهي السر أيضاً في انتشارها في أنحاء القارات، وفي جميع الأزمان، وأهم هذه الخصائص:

١ ـ **البساطة**: إن العقيدة الإسلامية على جلالها وعمق أثرها بسيطة بساطة التوحيد نفسه، وليس توحيد الله تعالى بالأمر الذي

---

(١٥) انظر تاريخ التراث العربي ١/٤/٢٧.

(١٦) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٦٧.

يعسر على الفكر الإنساني فهمه والاقتناع به عقلياً، على مختلف مستويات العقول البشرية، وإن جوهر العقيدة الإسلامية يرتكز على توحيد الله تعالى، وأنه لا إله إلا الله، ثم يتبعه أن محمداً رسول الله، مع الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

وإن فكرة التوحيد لا تحتاج إلى فلسفة معقدة، كما هو الشأن في العقائد الأخرى، وإنما هي فطرية، تنسجم مع وحدة الكون وسننه، وفطرة الإنسان وكيانه، وتتفق مع الواقع والمنطق والعقل.

٢ ـ الواقعية: إن العقيدة الإسلامية تلتقي مع واقع الحياة، ومنطق الأمور، وطبيعة الكون، وحقيقة الإنسان، وتنحصر في العلاقة بين الخالق والمخلوق، والعبد وربه، وتعطي التفسير الصحيح الكامل، والتصور الرشيد عن الكون والحياة والإنسان، وتقيم التوازن بين الدنيا والآخرة، والتوازن بين الفرد والمجتمع، وتلبي حاجات الإنسان المختلفة، وترتفع به إلى أسمى درجات الكمال والسمو، وتغرس فيه الفضائل النفسية، والكمالات الخلقية،

وتمنحه العزة، وتساعده على الثبات على المبدأ، والاستقامة في الحياة والسلوك.

٣ـ التسامح: تمتاز العقيدة الإسلامية بتربية أفرادها على التسامح فيما بينهم، والتسامح مع غيرهم، وتمقت فيهم التعصب، وتمنع الفوارق العرقية والجنسية واللغوية والمادية والدينية، وتجعل من الأفراد مجتمعاً صالحاً، وتحارب العنصرية، وتدعو إلى وحدة الأمم والشعوب، واللقاء العالمي، وتعترف بجميع الأنبياء والمرسلين، وأن الله تعالى رب الجميع، وأن الحساب يشمل الكل، والمسؤولية على كل فرد...، وبذلك تؤمن العقيدة الإسلامية الصفاء النفسي، والطمأنينة الذاتية، والثقة الكاملة عند الإيمان بالله تعالى، والعدالة بيوم القيامة، فتلبي نوازع النفس وطموحاتها، وتجتث أمراضها وضعفها من الخوف والقلق والاضطراب، وتحررها من عقدة الماضي السحيق، وغموض المستقبل البعيد.

ومن هنا تظهر أهمية العقيدة الصحيحة، والإيمان بالله تعالى، في بناء الإسلام، وتكوين الشخصية السوية، وتصحيح السلوك القويم، لأن العقيدة هي أساس تعاليم الإسلام، وهي التي توجه الإنسان، وتحركه نحو الاتجاه الصحيح، وتجعل من إيمانه بالله

تعالى، الحكيم الخبير، العليم البصير، السميع القدير، رادعاً للفرد عن الشذوذ، فيراقب تصرفاته بنفسه، وتمنعه عن المحرمات والآثام، ولو كان فيها لذة وفائدة للنفس، وتردعه عن البغي والظلم والاعتداء، ولو غاب القانون، أو الرقابة البشرية، وتكبح جماحه عن الانحراف والسير وراء الغرائز والشهوات، وتدفعه إلى العلم والتقدم، والسعي نحو الكمال، وإتقان الأعمال، لأنه يعتقد أن من يعمل مثقالَ ذرةٍ خيراً يَرَه، ومن يعمل مثقالَ ذرةٍ شراً يره، وأنْ ليسَ للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيَه سوفَ يُرى، وأنَّ لكلٍ درجاتٍ مما عَملوا.

ومتى تحقق هذا الإيمان، وأثمر في النفس، واتَّقَدَ في القلب، حقق النتائج الباهرة، والأعمال الخالدة، والمجتمع الصالح، والحياة المثالية.

ومن هنا تظهر الحاجة إلى الدين الحق، والعقيدة الصحيحة، لتلبي فطرة الإنسان وطبيعته، وتؤمن الاستقرار النفسي، والكمال الروحي، والتفتح العقلي، والتقدم العلمي، وتنمية الوازع الديني، والرقيب الذاتي عند كل إنسان، سواء كان عالماً وطالباً، ومهندساً وعاملاً، ومحامياً ومعلماً، ومديراً ومدرساً،

وموظفاً ورب عمل، وتاجراً وصانعاً، وأباً وابناً، وأخاً وجاراً، وزوجاً وزوجةً وأماً وبنتاً وأختاً، ليشعر كل منهم بالآخر، ويؤدي عمله الذي خلق من أجله مع الحفاظ على القيم والأخلاق والمبادىء[١٧]، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه»[١٨]، ويقول: «الخلق كلُّهم عيالُ اللّهِ، وأحبُّهم إلى اللّهِ أنفعهُم لعياله»[١٩].

أهم كتب علم التوحيد

١ ــ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري.

٢ ــ التوحيد لأبي منصور الماتريدي.

٣ ــ قواعد العقائد للطوسي.

٤ ــ تهافت الفلاسفة للغزالي.

---

(١٧) انظر هذا الموضوع بتوسع في كتابنا: وظيفة الدين في الحياة، وحاجة الناس إليه.

(١٨) هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أنس مرفوعاً.

(١٩) هذا الحديث رواه أبو يعلى في مسنده والبزار عن أنس مرفوعاً، ورواه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعاً.

٥ ـ المنقذ من الضلال للغزالي .
٦ ـ الأسماء والصفات للبيهقي .
٧ ـ شرح الأصول الخمسة لأبي الحسين المعتزلي .
٨ ـ إبكار الأفكار للآمدي .
٩ ـ الأربعين في أصول الدين للرازي .
١٠ ـ نهاية العقول للرازي .
١١ ـ الشامل في أصول الدين للجويني .
١٢ ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني .
١٣ ـ لمع الأدلة في قواطع عقائد أهل السنة والجماعة للجويني .
١٤ ـ الإبانة عن أصول الديانة للأشعري .
١٥ ـ أصول الدين للبغدادي .
١٦ ـ العقائد العضدية للعضد .
١٧ ـ المواقف للعضد .
١٨ ـ الطوالع للبيضاوي .
١٩ ـ العقائد النسفية .
٢٠ ـ رسالة العقائد للقشيري .
٢١ ـ الزهد للإمام أحمد بن حنبل .
٢٢ ـ شرح العقيدة الطحاوية .

٢٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية .

٢٤ ـ المُغْني للقاضي عبد الجبار المعتزلي (٤١٥ هـ) .

٢٥ ـ الطحاوية ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الحنفي المصري (٣٢١ هـ) ولها شروح .

٢٦ ـ قصة الإيمان للشيخ نديم الجسر .

٢٧ ـ تعريف عام بدين الإسلام ، للشيخ علي الطنطاوي .

مخطوطات علم التوحيد في مكتبة الأسد

إن موضوع علم التوحيد يتعلق بالإيمان والعقيدة ، ويهتم به كل مسلم في كل قطر ، وفي كل زمان ، وقد نشأت بعض الفرق العقائدية بالشام كالقدرية ، ولكن لم تظهر مذاهب كاملة ، وفرق مستقلة ، ومدارس متخصصة بعلم التوحيد في بلاد الشام ، ولكن هذا لا يمنع من مشاركة العلماء بالتصنيف والتأليف في هذا العلم الجليل .

وتوجد بالظاهرية ٢٤٩ مخطوطة تحت عنوان علم التوحيد من رقم عام ٢٩١٠ إلى ٣٠٣٢ ، يضاف إليها بعض المخطوطات

المبعثرة أو المصنفة تحت علوم أخرى، وقد ورد كثير من مخطوطات علم التوحيد في فهرس مخطوطات التصوف.

ومن هذه المخطوطات: طوالع الأنوار للبيضاوي، والمطالع شرح الطوالع للأصفهاني، وشرح المطالع لقطب الدين الشيرازي، وحاشية الطوالع لأبي القاسم السمرقندي الليثي.

كما يوجد بالظاهرية عدة مجاميع تتضمن رسائل في علم الكلام والتوحيد، وجاءت مصنفة في فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع ــ[٢٠] (١/٤٣٧ ــ ٤٣٨)، (٢/٤٨٥ ــ ٤٨٦). ويضاف إلى ذلك مخطوطات علم التوحيد والكلام الموجودة في المكتبة الأحمدية بحلب، والتي نُقلت إلى مكتبة الأسد، ولها فهرس خطي كبير.

---

(٢٠) منها رسالة الزهد لوكيع بن الجراح، في مجموع رقم ١٠٣٣.



الفصل الرابع

علم الفقه



وهو أحد العلوم الشرعية الأساسية، ومن أكثر العلوم شهرةً، واتساعاً، ومعرفةً، وصلةً بجميع الناس، وتطبيقاً عملياً في الحياة.

تعريف الفقه

والفقه لغة الفهم، ومنه قوله تعالى: ﴿قالُوا يا شُعَيْبُ، ما نَفْقَهُ كثيراً مما تَقُول﴾ هود /٩١، وقوله سبحانه: ﴿فَما لِهؤلاءِ القومِ لا يكادُونَ يَفْقَهُونَ حَديثاً﴾ النساء /٧٨.

ويقال فقِه يفقَه أي فهم مطلقاً، سواء كان الفهم دقيقاً أو سطحياً، وفقِه يفقُه: أي صار الفقه سجية له، ويقال: تفقّه

الرجلُ تفقهاً أي تعاطى الفقه، ومنه قوله تعالى: ﴿ليتفقَّهُوا في الدِّين﴾ التوبة /١٢٢، وفي نقل المعنى اللغوي للمعنى الشرعي دعا عليه الصلاة والسلام لابن عباس رضي الله عنه، فقال: «اللهم فقِّهْه في الدين».

وفي الاصطلاح الشرعي عرَّفه الإمام أبو حنيفة بأنه «معرفة النفس ما لها وما عليها» وهذا يشمل الاعتقاديات كوجوب الإيمان، والوجدانيات كالأخلاق والتصوف، والسلوك العملي في الحياة كالصلاة والبيع، ويسمى هذا الفقه الأكبر، وهذا يتفق مع العصر الإسلامي الأول، قبل أن تتميز العلوم بموضوعات معينة، ويستقل كل منها عن الآخر، فوُجد علم الكلام والتوحيد، وعلم الأخلاق والتصوف، وعلم الفقه، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث وغيرها.

وعرَّف الإمام الشافعي علم الفقه بمعناه الخاص المستقل، فقال: «هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية»[١]، أي هو معرفة وإدراك الأحكام التي تتوقف على

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته ١٥/١، وما بعدها.

مصدر شرعي، وتقتضي من المكلف البالغ العاقل القيام بعمل وسلوك وتصرف في الحياة، كوجوب الصلاة وأدائها، وتحريم القتل والامتناع منه، وإباحة الأكل وتناوله، واشتراط الوضوء للصلاة والقيام به، على أن تكون هذه المعرفة مستنبطة ومستمدة بالنظر والاجتهاد والبحث من نصوص القرآن والسنة وبقية المصادر، ويكون الفقيه مجتهداً، أما المقلد لغيره، أو الحافظ لأحكام الفقه فلا يسمى فقيهاً في الأصل، ثم أصبح الفقه أخيراً بمعنى أحكام الحوادث نصاً واستنباطاً ودراسة وحفظاً على مذهب من المذاهب، والفقيه هو الذي يعرف ويحفظ الأحكام الشرعية من مذهب معين، ليعلمها للناس.

وبعبارة أخرى فإن الفقه هو الطريق لمعرفة الحلال من الحرام من عند الله تعالى، للالتزام بذلك، والتقيد به، لأنه يرسم المنهج القويم للإنسان في جميع مجالات الحياة.

شمول أحكام الفقه

والفقه يشمل جميع متطلبات الحياة، ويبين كل ما يحتاجه الفرد والمجتمع، وينظم علاقة الفرد بربه، وعلاقة الإنسان بنفسه،

وعلاقته بمجتمعه، ويسعى لتحقيق الصلاح في الدنيا والآخرة، وتأمين المصالح وجلبها، ودفع المضار والتحذير منها، على مستوى الفرد والدولة، والأمة والمجتمع. لذلك كانت أحكام الفقه تشمل ما يلي:

١ ــ **العبادات** التي تنظم علاقة الفرد بربه، كالصلاة والصيام والزكاة والحج والنذر واليمين والذِكر، وكل عمل صالح قُصد به وجه الله تعالى.

٢ ــ **المعاملات المدنية** التي تتعلق بالمبادلات كالبيع والإجارة والرهن والكفالة والشركة والمزارعة، وتعرف اليوم بالقانون المدني، والحقوق المدنية.

٣ ــ **الأحوال الشخصية** التي تنظم شؤون الأسرة من زواج وطلاق ونسب ونفقة وميراث.

٤ ــ **الأحكام الجنائية** التي يقصد منها حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم، وحماية العدل، وضبط الأمن، وتُحدِّد الأعمال المحرمة الإجرمية، ثم تُبين العقوبة المناسبة لها، وتعرف اليوم بقانون العقوبات.

٥ ـ **الأحكام القضائية** التي تنظم المحاكم، والمرافعات أمامها، وإجراءات الدعوى، وطرق الإثبات بالشهادة واليمين والكتابة والإقرار والقرائن والمعاينة، وكيفية صدور الحكم القضائي وتنفيذه، وتسمى اليوم أصول المحاكمات، أو قانون المرافعات، أو نظام القضاء، أو السلطة القضائية.

٦ ـ **الأحكام الدستورية** التي تنظم علاقة الفرد بالدولة، وتتعلق بنظام الحكم، وتبين حقوق الحاكم وواجباته، وحقوق المواطن وواجباته.

٧ ـ **الأحكام الدولية** التي تنظم علاقة الدولة بالدول الأخرى وعلاقة الدولة برعاياها خارج الوطن، وعلاقة الدولة برعايا الدول الأخرى في أرضها، وذلك في حالتي السلم والحرب ونشر الدعوة وحمايتها بالجهاد.

٨ ـ **الأحكام الاقتصادية والمالية** التي تنظم واردات الدولة وصادراتها، وتنظم العلاقات المالية بين الدولة والأفراد، وبين الأغنياء والفقراء.

وتمتاز أحكام الفقه الإسلامي بأن مصدرها سماوي،

وأساسها الوحي الإلهي ، وتتصف بالصفة الدينية بالحلال والحرام ، وترتبط بالعقيدة والإيمان في الامتثال والالتزام ، والمسؤولية والحساب في الدنيا والآخرة ، وتمتزج بالأخلاق والقيم أثناء التطبيق والمعاملات ، وتُقيم التوازن العادل بين الفرد والمجتمع ، أو الفرد والدولة ، وتسعى لتحقيق السعادة للجميع ، بما يحقق الصالح العام والمصلحة الجماعية والفردية في الدنيا والآخرة ، لذلك كان الفقه الإسلامي صالحاً للتطبيق الدائم والبقاء الخالد في كل زمان ومكان .

نشأة الفقه وتطوره

علمنا أن الفقه هو معرفة الأحكام الشرعية العملية من أجل تطبيقها وتنفيذها والالتزام بها ، وقد بدأ هذا الأمر منذ عصر النبوة والوحي ، وكان القرآن الكريم ينزل بالأحكام الشرعية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين هذه الأحكام للناس ، ويشرح تفاصيلها ، ويحدد شروطها ، ويرسم الطريق القويم لتنفيذها سواء كان ذلك بالسنة القولية ، أو بالتطبيق العملي والسنة الفعلية ، أو بإقراره لأقوال الصحابة وأفعالهم التي تتفق مع دين الله وشرعه ، وكان مصدر الأُحكام منحصراً بالوحي ، إما المنزل باللفظ وهو

القرآن الكريم، أو المنزل بالمعنى وهو السنة. وكان الصحابة يرجعون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم للتعلم والاستفتاء وفصل المنازعات والقضاء، وقام المجتمع الإسلامي الفاضل والدولة الإسلامية الراشدة، وتمَّ تنفيذ أحكام الشرع والسماء على الأفراد والمجتمع، والأمة والدولة، واكتملت الشريعة الغراء، وأدّى الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة، وبلَّغ الدعوة، وجاهد في الله حق جهاده، ثم لحق بالرفيق الأعلى.

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قام الصحابة بواجبهم خير قيام، معتمدين على الأحكام الشرعية التي تلقوها من رسول الله، ومستفيدين من التجربة الحيَّة التي شاهدوها أثناء التنزيل وفي أسباب النزول، وعلى الملكة الناصعة التي اكتسبوها من التربية النبوية ومعرفة حكمة التشريع، وإدراك مقاصد الشريعة فكان كبار الصحابة وعلماؤهم وخلفاؤهم يمارسون الفقه، ويعلّمون الناس الأحكام، ويرجعون إلى كتاب الله تعالى، فإن وجدوا فيه الحكم أخذوا به ووقفوا عنده، وإن لم يجدوا لجأوا إلى السنة، وسألوا من يعرف عن رسول الله في ذلك شيئاً، فإن وجدوا ضالتهم في السنة التزموا بها، وإن لم يجدوا بحثوا ونظروا واجتهدوا واستنبطوا حكم الله

تعالى بالقياس والقواعد العامة، فإن اتفقوا على أمر كان إجماعاً، وهو المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي، وإن لم يتفقوا عليه بقي في حيز الاجتهاد والاستنباط، ويُصنف بحسب المَدْرَك والسبب الذي بُني عليه، كالقياس أو الاستحسان، أو الاستصلاح أو العرف، وظهر في هذه الأثناء اجتهادات الصحابة، أو قول الصحابي، وتجمعت هذه الآراء لفقهاء الصحابة حتى صارت أشبه بالمذهب أو المدرسة، كمذهب ابن عمر، ومذهب ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، وانتقلت هذه الصورة الكاملة عن العصر النبوي، وعهد الصحابة إلى التابعين، وأضاف فقهاء التابعين اجتهاداتهم الخاصة وآرائهم في المسائل الجديدة، وظهر فقهاء أعلام، ومجتهدون بارزون في عهد التابعين من منتصف القرن الهجري الأول إلى مطلع القرن الهجري الثاني، واشتهر فقهاء المدينة السبعة وهم (سعيد بن المُسَيِّب، وعُرْوة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وخَارجة بن زيد، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن حارث بن هشام، وسُليمان بن يسار، وعُبَيْدُ الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود)، وظهر معهم في المدينة نافع مولى عبد الله بن عمر وغيره، وظهر في الكوفة علقمة بن مسعود،

وإبراهيم النَّخَعي وغيرهما، وفي البصرة الحسن البِّصري، وفي مكة عِكْرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وطاووس، وفي دمشق مكحول الشامي، وأبو إدريس الخُولاني، وفي مصر الليث بن سعد، كما ظهر عدد من فقهاء التابعين مثل محمد بن سيرين، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأعرج، وعلقمة النَّخعي، والشَّعبي وشُرَيْح، وسعيد بن جبير.

وكان لكل منهم اجتهاداته، وقواعده، ومنهجه الذي يُقَرِّبه من اصطلاح المذهب، وظهر في هذه الأثناء اتجاهان قويان للاجتهاد والفقه، تمثلا في مدرسة الحديث في الحجاز، ومدرسة الرأي بالعراق.

وفي القرن الثاني الهجري لمع في الفقه عدد من الفقهاء والعلماء الذين استفادوا من جميع النشاطات العلمية والفقهية قبلهم، وحددوا لأنفسهم مناهج واضحة، وقاموا بأعمال مجيدة، والتف حولهم التلاميذ والطلاب، ورجع إليهم الناس والحكام فقلدوا آراءهم، ثم جمعوا أقوالهم، ودوَّنوا مذاهبهم التي صارت قائمة ومستقلة عن غيرها، وأهمهم ثلاثة عشر مجتهداً، وهم سفيانُ بن عيينة بمكة، ومالك بن أنس بالمدينة، والحسن البصري بالبصرة،

وأبو حنيفة، وسفيان الثوريّ (١٦١ هـ) بالكوفة، والأوزاعي (١٥٧ هـ) بالشام، والشافعي والليث بن سعد بمصر، وإسحاق ابن راهويه بنيسابور، وأبو ثور وأحمد، وداود الظاهري، وابن جرير الطبري ببغداد[٢].

كما ظهرت فيما بعد بعض المذاهب الفقهية، ونُسبت إلى أئمة وفقهاء من هذا العصر، كمذهب الشيعة الإمامية المنسوب إلى جعفر الصادق (١٤٨ هـ)، ومذهب الإباضية المنسوب إلى عبد الله بن إباض التميمي (٨٠ هـ).

المذاهب الفقهية

ثم انقرضت معظم هذه المذاهب، ولم يبق منها إلا المذاهب الأربعة المشهورة في العالم الإسلامي، وهي المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، بالإضافة إلى مذهب الجعفرية عند الشيعة الإمامية، ومذهب الزيدية في اليمن، ومذهب الإباضية في مناطق متفرقة، ونذكر بعضها مع كتب كل مذهب.

---

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته ٢٨/١، وانظر الإعلام بمناقب الإسلام ص١١٦، تاريخ الأدب العربي ٢٣٢/٣، وما بعدها، ٢٨٥/٦، وما بعدها.

أولاً : المذهب الحنفي

مؤسسه الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت (٨٠ ــ ١٥٠ هـ) ، فارسي الأصل، من تابعي التابعين ، وهو إمام أهل الرأي ، وفقيه أهل العراق ، تفقه بحماد بن أبي سليمان ، الذي أخذ الفقه عن إبراهيم النَّخَعي عن عبد الله بن مسعود .

تشدد الإمام أبو حنيفة في قبول الحديث ، وتوسَّع في القياس والاستحسان ، ويعتمد في مذهبه على الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاستحسان والعرف وقول الصحابي وشرع من قبلنا .

وله في علم الكلام كتاب الفقه الأكبر ، وله مسند في الحديث ، ولم يترك كتاباً فقهياً إلا ما أملاه على تلاميذه ، وجمعه الإمام محمد بن الحسن الشيباني .

وأشهر تلامذته الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم قاضي القضاة (١١٣ ــ ١٨٢ هـ) ، الذي له الفضل في تدوين أصول الحنفية ونشر مذهبهم ، والإمام محمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ ــ ١٨٩ هـ) ، الذي انتهت إليه رئاسة الفقه في العراق بعد

أبي يوسف ، وجمع آراء الإمام أبي حنيفة . ودوَّن المذهب الحنفي في كتبه «ظاهر الرواية» المُعْتَمَدة في المذهب ، وفي كتب أخرى ، والإمام أبو الهذيل زفر بن الهذيل (١١٠ ــ ١٥٨ هـ) ، الذي غلب عليه الرأي ، وبُهر في القياس ، والحسن بن زياد اللؤلؤي (٢٠٤ هـ) ، الذي اشتهر برواية الحديث ورواية آراء أبي جنيفة .

وأهم كتب الحنفية كتب ظاهر الرواية الستة للإمام محمد ابن الحسن (وهي الجامع الكبير والجامع الصغير ، والسير الكبير والسير الصغير ، والمبسوط أو الأصل ، والزيادات) وتمثل الآراء الراجحة في المذهب الحنفي ، ثم كتب النوادر للإمام محمد أيضاً (وهي الجُرْجانيات والهارونيات والكَيْسانيات والرقيات) وكتاب الكافي للحاكم الشهيد المروزي (٣٣٤ هـ) ، الذي جمع كتب ظاهر الرواية وصاغها من جديد ، وحذف المكرر ، والمبسوط للسرخسي (٤٨٣ هـ) ، الذي شرح كتاب الكافي بأسلوب سهل مبسط ، مع الأدلة والمناقشة والمقارنة ، ثم كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع للكاساني (٥٨٧ هـ) ، الذي شرح فيه كتاب تحفة الفقهاء للسمرقندي (٥٣٩ هـ) ، ومختصر الهداية للمرغيناني (٥٩٣ هـ) وهو أشهر وأهم مختصر في الفقه الحنفي وعليه شروح

كثيرة أهمها: فتح القدير للكمال بن الهمام (٨٦١ هـ)، ثم كتاب رد المحتار المعروف بحاشية ابن عابدين (١٢٥٢ هـ) وهو حاشية على «شرح الدر المختار» للحصكفي، على متن «تنوير الأبصار» للتمرتاشي، وأخيراً مجلة الأحكام العدلية التي وضعتها لجنة من العلماء في الدولة العثمانية، وأصبحت قانوناً مدنياً مستمداً من الفقه على المذهب الحنفي، وصدرت الإرادة السنية بلزوم العمل بها سنة (١٢٩٣ هـ) على جميع الأراضي للدولة العثمانية، ومنها سورية والأردن وفلسطين ولبنان.

مخطوطات الفقه الحنفي في مكتبة الأسد

لقد احتل المذهب الحنفي مكانة مرموقة في بلاد الشام منذ العصر العباسي عندما زاحم مذهب الأوزاعي، ثم صار المذهب الرسمي طوال هذه المدة ــ تقريباً ــ حتى نهاية الدولة العثمانية، وأنشئت مدارس كثيرة لتدريسه، وآلت مناصب الإفتاء والقضاء ــ غالباً ــ إلى علمائه الذين قاموا برعايته وخدمته ونشره وتنقيحه والتأليف فيه، وظهر منهم علماء أجلاء، وتركوا لنا تراثاً زاخراً، وثروة

فقهية عظيمة[٣]، انحصر أكثرها في الظاهرية بدمشق، والأحمدية بحلب، ثم ضُمَّ القسمان إلى مكتبة الأسد.

١ ـ **مخطوطات الظاهرية في الفقه الحنفي** كثيرة، وقد وضع فهرساً لها الأستاذ محمد مطيع الحافظ، ونشر الفهرس مجمع اللغة العربية بدمشق في جزأين، وكشف الفهرس عن «كتب كثيرة كانت في عالم النسيان، وأخرى مثلها فريدة لا نظير لها في مكتبات العالم، ومؤلفات لعلماء شاميين، بخطوط مؤلفيها، ومجاميع فقهية نادرة، كان للظاهرية فضل حفظها وصيانتها من العابثين والجاهلين»[٤]، ثم انتقلت إلى مكتبة الأسد لتأخذ الحظ الأوفى في الرعاية والعناية والترميم والحفظ، وترنو بأعناقها إلى الأيدي الحانية لإخراجها إلى النور، وتحقيقها وطبعها، ليطَّلع الخلف على تراث الآباء والأجداد، ويستفيدوا من اللبنات والبناء الذي شيَّدوه للعالم، وحملوا فيه مشعل النور والحضارة للأمة، وتغطي مختلف جوانب الحياة والأحكام العملية التي تبين حكم الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، ويمكن الرجوع للفهرس للاستفادة[٥].

(٣) انظر فهرس مخطوطات الظاهرية ـ الفقه الحنفي ١/٨.

(٤) المرجع السابق ١/٩.

(٥) والفهرس مرتب ترتيباً أبجدياً على أسماء الكتب، مع استبعاد مخطوطات علم

٢ ــ مخطوطات الفقه الحنفي في المكتبة الأحمدية بحلب، التي ضُمَّت إلى مكتبة الأسد أيضاً وجاءت في الفهرس الخطي.

ويضاف إلى ذلك رسائل في الفقه الحنفي جاءت في مجاميع، وصنفت في فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع (٤٥٢/١ ــ ٤٥٥) (٤٠٢/٢ ــ ٤٠٣).

ثانياً: المذهب المالكي

مؤسسه الإمام مالك بن أنس الأصْبَحي (٩٣ ــ ١٧٩ هـ) إمام دار الهجرة في الفقه والحديث بعد التابعين، أخذ العلم عن عبد الرحمن بن هُرْمز، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وربيعة بن عبد الرحمن، المعروف بربيعة الرأي.

ويعتمد في مذهبه على القرآن الكريم والسنة والإجماع والقياس وعمل أهل المدينة وقول الصحابي والاستحسان والاستصلاح وسد الذرائع.

وأشهر تلامذته أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المصري

الفرائض (المرجع السابق ١٣/١٢/١).

(١٩١ هـ) الذي نظر في «المدونة» وصححها في مذهب مالك، وهي أول كتب المالكية، وعنه رواها سحنون ورتبها، وأبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم (١٩٧ هـ) الذي نشر فقه الإمام مالك في مصر، وأشهب بن عبد العزيز القيسي (٢٠٤ هـ) الذي انتهت إليه رئاسة الفقه بمصر بعد ابن القاسم، وأبو محمد عبد الله بن عبد الحكم (٢١٤ هـ) وإليه صارت رئاسة المالكية بعد أشهب، وسحنون وهو عبد السلام بن سعيد التنوخي (٢٤٠ هـ) وهو صاحب «المدونة» في مذهب مالك التي يرجع إليها المالكية.

ومن أهم كتب الفقه في المذهب المالكي «الموطأ» للإمام مالك الذي جمع بين الحديث والآثار وآراء للإمام مالك، و «المدونة» وهي آراء الإمام مالك الفقهية، جمعها ودونها تلميذه سحنون، وبداية المجتهد لابن رشد الحفيد الفيلسوف (٥٩٥ هـ)، والذخيرة للقرافي، والمعيار المُعْرب للوَنْشَرِيسري، وأهم مختصر عند المالكية «مختصر خليل» وعليه شروح كثيرة ومعتمدة كشرح الخرشي، ومواهب الجليل للحطاب وفتح الجليل للشيخ عليش، وحاشية الدسوقي على شرح الدردير على مختصر خليل.

والمذهب المالكي سائد في إفريقيا والأندلس والخليج

العربي، ولكنه قليل الانتشار في بلاد الشام إلا ممن قدم إليها من شمال إفريقيا، لذلك كان تدريسه قليلاً في سورية، ومخطوطاته محصورة. وتحتوي مخطوطات الظاهرية في مكتبة الأسد على مائة وأربع عشرة مخطوطة مع المكرر والرسائل والأجزاء، منها مخطوطة «شرح مختصر خليل» لعبد الباقي الزرقاني برقم ٢٧٨٤، في أربعة أجزاء، بالإضافة إلى بعض المخطوطات التي جاءت في غير مكانها مثل «مختصر خليل» ورقمه المتسلسل ٤٠٣٠، وعدد أوراقه ١٤٤ ورقة، وتاريخ النسخ ٩٧٦ هـ، وعليه تعاليق كثيرة، ولا تزال مخطوطات الفقه المالكي مسجلة بخط اليد في الفهرس العام لمخطوطات الظاهرية ولم تنسق وتجمع وتطبع كغيرها من فهارس مخطوطات الظاهرية.

ثالثاً: المذهب الشافعي

مؤسسه هو الإمام محمد بن إدريس القرشي المطلبي (٢٠٤ هـ) الذي نشأ في مكة، وأخذ الفقه وعلوم القرآن على علمائها، وخاصة مسلم بن خالد الزنجي، ثم ارتحل إلى المدينة المنورة فتفقه بالإمام مالك بن أنس، وسمع منه الموطأ، وأخذ

الحديث وعلومه عن سفيان بن عيينة وعلماء المدينة، ثم رحل إلى العراق وأخذ فقه الرأي عن الإمام محمد بن الحسن، وناظر العلماء ببغداد، وظهر تفوقه وخاصةً بعبقريته العقلية ومنهجه الأصولي، ومعرفته بالحديث والجدل والمنطق، وصنف أول كتاب في أصول الفقه «الرسالة» ثم أملى كتابه الفقهي «الأم» الذي يمثل آخر آرائه واجتهاداته، ويحدد مذهبه الجديد المعتمد.

ويعتمد في مذهبه على الأصول الأربعة: القرآن والسنة والإجماع والقياس. كما يأخذ بالاستصحاب وغيره، ولم يأخذ بأقوال الصحابة، لأنها اجتهادات تحتمل الخطأ، وردَّ حجية الاستحسان والمصالح المرسلة، وأنكر الاحتجاج بعمل أهل المدينة، ودافع عن حجية السنة والعمل بخبر الآحاد حتى سماه أهل بغداد «ناصر السنة».

ومن أشهر تلاميذه يوسف بن يحيى، أبو يعقوب البويطي (٢٣١ هـ) الذي استخلفه الشافعي في حلقته بمصر إلى أن استدعي لبغداد وسجن فيها بسبب فتنة القول بخلق القرآن حتى مات بالسجن، وإسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤ هـ) الذي قال عنه الشافعي «المزني ناصر مذهبي» واختصر «الأم» في كتابه

« مختصر المزني » ، والربيع بن سليمان المُرادي (٢٧٠ هـ) الذي كان مؤذناً بجامع عمرو بن العاص ، وصحب الشافعي كثيراً ، وروى كتبه « الأم » و « الرسالة » ، وحرملة بن يحيى (٢٦٦ هـ) الذي روى بعض كتب الشافعي مما لم يروه الربيع ، ككتاب الشروط في ثلاثة أجزاء ، وكتاب السنن في عشرة أجزاء ، وكتاب النكاح ، وكتاب ألوان الإبل والغنم وصفاتها وأسنانها ، ومن تلاميذ الشافعي ببغداد الإمام أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي (٢٤٠ هـ) وكان مجتهداً ، وروى كتاب الشافعي في مذهبه القديم « الحجة » .

ومن أشهر كتب الفقه الشافعي « الأم » للإمام الشافعي ، « ومختصر المزني » الذي شرحه الإمام الجويني في كتابه الكبير « نهاية المطلب » الذي لا يزال مخطوطاً ، وكتاب « فتح العزيز شرح الوجيز » للرافعي ، « وروضة الطالبين » للنووي ، « والمهذّب والتنبيه » للشيرازي ، و « الحاوي الكبير » للماوردي الذي لا يزال مخطوطاً ، و « المجموع » للنووي . وأهم مختصر في الفقه الشافعي الذي يُعتمد عليه في الفتوى والقضاء « منهاج الطالبين » للنووي ، وعليه شروح كثيرة منها مغني المحتاج للخطيب الشربيني ، ونهاية المحتاج للرملي ، وتحفة المحتاج لابن حجر الهيتمي .

مخطوطات الفقه الشافعي في مكتبة الأسد

انتشر المذهب الشافعي في بلاد الشام منذ القرن الثالث الهجري، وكان يزاحم مذهب الأوزاعي، ثم استمر في المنافسة مع المذهب الحنفي، وفُتحت له المدارس الخاصة، وأُجريت له الأوقاف المخصصة، وقام علماؤه وفقهاؤه والأصحاب فيه بالجهود المباركة في التعليم والتدريس والتأليف مع انتقال كثير منهم إلى الشقيقة مصر، وقدوم عدد من علماء مصر إلى الشام، وبرز في المذهب الشافعي بالشام أئمة أعلام كابن السبكي وابن أبي عصرون وابن الفِركاح وابن أبي الدم[٦]، إلى أن توج المذهب الإمام النووي الذي حقق المذهب ونقحه، وترك فيه المصنفات الخالدة والكتب المعتمدة في المذهب، لذلك كثرت مخطوطات الفقه الشافعي في سورية، وبلغت (من الكثرة بحيث تستحق أن يكون لها فهرس مستقل)[٧] قام بوضعه الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر، وطبعه

---

(٦) وله كتاب «أدب القضاء» الذي حققناه، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ثم أعيد طبعه ثانية بطبعةٍ أنيقة في دار الفكر بدمشق ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٧) فهرس مخطوطات الظاهرية ــ الفقه الشافعي ص ٥.

مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٣٨٣ هـ/١٩٦٣ م، ورتبه على حروف المعجم بأسماء الكتب، ثم ألحقه بفهرسين مرتبين على حروف المعجم بأسماء المؤلفين مع ذكر تاريخ وفاتهم، والثاني بأسماء النساخ، ثم ضم إليه بعض الاستدراكات التي وجدها عند مراجعة الطباعة.

ويوجد بين مخطوطات الظاهرية للفقه الشافعي، التي انتقلت إلى مكتبة الأسد بعض أمهات الكتب، أو أجزاء منها كالوسيط للغزالي، وشروح التنبيه، ورسائل وبحوث قيمة تنتظر اليد الحانية لإظهارها للنور، وإخراجها للأمة، وإن وضع الفهرس لها (يبعث فيها الحياة، ويطلقها من حجراتها ليشع منها العلم والثقافة والنور)[٨] بعد تحقيقها ونشرها.

ويضاف إلى ذلك مخطوطات الفقه الشافعي التي كانت محفوظة في المكتبة الأحمدية بحلب، ثم انتقلت في رحلة مباركة إلى مكتبة الأسد.

كما يضاف مجموعة من الرسائل المخطوطة جمعت في

---

(٨) المرجع السابق.

مجاميع، وذكرت مصنفة في فهرس مخطوطات الظاهرية ـــ مجاميع (٤٥٦/١، ٤٠٤/٢ ـــ ٤٠٥).

رابعاً: المذهب الحنبلي

مؤسسه الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (٢٤١ هـ). ولد ببغداد ونشأ بها ورحل إلى المدن الأخرى لطلب العلم، وتفقه على الشافعي حين قدم بغداد، وصار مجتهداً مستقلاً واهتم بجمع السنة وحفظها حتى صار إمام المحدثين في عصره.

وأصول مذهبه قريبة من مبدأ الشافعي، فيعتمد على الاجتهاد والإستنباط من القرآن والسنة والإجماع وفتوى الصحابي والقياس والاستصحاب والمصالح المرسلة وسد الذرائع، ولم يؤلف الإمام أحمد كتاباً في الفقه، وإنما أخذ أصحابه مذهبه من أقواله وأجوبته، لكنه صنَّف في الحديث كتابه الكبير «المسند».

ومن أشهر تلامذته صالح بن أحمد بن حنبل (٢٦٦ هـ)، وهو أكبر أولاد الإمام أحمد، وعبد الله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠ هـ)، الذي نقل الحديث عن أبيه، وعني صالح بنقل فقه

أبيه ومسائله. وأبو بكر الأثرم، أحمد بن محمد بن هانيء (٢٧٣ هـ). وأبو بكر المِرْوذي، أحمد بن محمد بن الحجاج (٢٧٤ هـ)، وإبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥ هـ).

ومن أشهر وأهم كتب الفقه الحنبلي «مختصر الخرقي» الذي شرحه العلّامة موفق الدين بن قدامة في «المغني»، ومنها «كشاف القناع» للبهوتي، وشرح منتهى الإرادات للبهوتي، والمحرر في الفقه لعبد السلام بن تيمية، والإنصاف للمرداوي، والفروع لابن مفلح، والمقنع لابن قدامة، والرَّوْض المُرْبع للحِجاوي.

وينتشر المذهب الحنبلي في بعض القرى بسورية، وكان له نشاط ومجد قديماً في صالحية دمشق، وفي القدس الشريف، وكثير من ريف فلسطين، وله مدارسه الكثيرة في دمشق، لكن مخطوطاته قليلة لا تتناسب مع نشاط علمائه ومدارسه، ولعل كثيراً منها قد احترق.

وتبلغ مخطوطات الفقه الحنبلي في الظاهرية التي انتقلت إلى مكتبة الأسد حوالي مائة مخطوطة، ذُكر منها ٩٣ مخطوطة بشكل متتابع في الفهرس الخطي العام للظاهرية، منها مسائل أحمد بن

حنبل، والمسائل الفقهية لتقي الدين بن تيمية، وشرح المقنع للتنوخي، والمفردات للبهوتي، ودليل الطالب لمرعي بن يوسف، والمستوعب للسامري، والدرة اليتيمة للصرصري، والكافي لابن قدامة، كما ذكرت بعض كتب الفقه الحنبلي في غير موضعها مثل كتاب «الإفصاح» لابن هُبَيْرة الذي سُجِّل في الفقه الحنفي برقم عام ٢٥٩٣ ــ ٢٥٩٤.

ويضاف إليها عدة رسائل جاءت في مجاميع، وصنفت في فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع (٤٥٦/١، ٤٠٧/٢). كما يضاف إلى ذلك مخطوطات الفقه الحنبلي في المكتبة الأحمدية والتي نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق.

خامساً: المذهب الزيدي

وهو المذهب الفقهي المعمول به عند الزيدية في اليمن، وهو أقرب المذاهب الشيعية إلى فقه أهل السنة، ويُنسب المذهب إلى **الإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين (١٢٢ هـ)** لقولهم بإمامته بعد علي زين العابدين، مع مخالفتهم له في الفروع الفقهية أحياناً، ويعد المذهب الزيدي مذهباً خامساً بجانب المذاهب الأربعة السابقة. وكان زيد إماماً في عصره، عارفاً بعلوم القرآن

والقراءات والفقه، وكان يسمى «حليف القرآن» وصنف أقدم كتاب فقهي وصل إلينا، وهو «المجموع» في الفقه، وهو مطبوع في إيطاليا، وشرحه العلّامة شرف الدين الحسين بن أحمد السيّاغي اليمني الصنعاني (١٢٢١هـ) في كتاب «الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير» مطبوع عدة مرات، منها طبعة المؤيد في أربعة أجزاء، وتتمته في جزء واحد[٩].

ويعتمد المذهب الزيدي في استنباط الأحكام على القرآن والحديث والإجماع والقياس والاستحسان والمصلحة المرسلة والاستصحاب.

ويكثر عندهم المجتهدون من أبناء الإمام زيد وأحفاده وأولاد عمومته وأتباعه، منهم حفيده أحمد بن عيسى بن زيد، والقاسم بن إبراهيم الرسي، والناصر الكبير أبو محمد الحسن بن علي الأطروش، والهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي، وابنا الهادي الإمام محمد المرتضى، والإمام الناصر أحمد وغيرهم[١٠].

---

(٩) الفقه الإسلامي وأدلته ٤٢/١، الإمام زيد، أبو زهرة ص ٤، تاريخ الأدب العربي ٣٢٢/٣.

(١٠) الإمام زيد ص٤٩٢، وما بعدها، تاريخ التراث العربي ٣١٥/٣/١، تاريخ ←

ومن أشهر كتب الزيدية التاج المُذَهَّب لأحكام المَذْهَب، والمجموع، والروض النضير، والبحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار لأحمد بن يحيى بن المرتضى (٨٤٠ هـ)، الذي بدأه بالمسائل الاعتقادية ثم انتقل إلى مسائل الفقه في العبادات والمعاملات، وختمه بتكملة عن الأخلاق والتصوف وأعمال القلب، وطُبع الكتاب في خمسة أجزاء كبيرة في مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٦٦ هـ-١٩٤٧م، وطُبع معه جواهر الأخبار في تخريج الأحاديث الواردة في البحر الزخار[١١].

سادساً: المذهب الجعفري

وهو المذهب الفقهي للشيعة الإمامية، الإثنى عشرية، التي تنتشر في إيران وبعض مناطق العراق وسورية ولبنان، وهذا المذهب منسوب للإمام جعفر الصادق (١٤٨ هـ)، بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الحسين السبط. وهو سادس الأئمة الإثنى عشر عند الإمامية، أحد أجلاء التابعين، وله

الأدب العربي ٣/٣٢٢.

(١١) لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص٢٥٣.

منزلة رفيعة في العلم والقرآن والحديث والفقه والكيمياء والزجر والفأل، وأخذ عنه خلق كثير، منهم ابنه موسى الكاظم، والسفيانان ومالك وأبو حنيفة.

لم يؤسس الإمام جعفر الصادق مذهباً في الفقه، وأول من صنف كتاباً في الفقه للإمامية موسى الكاظم (١٨٣ هـ) الذي كتبه إجابة عن مسائل وجهت إليه تحت اسم «الحلال والحرام». ثم كتب ابنه علي الرضا كتاب «فقه الرضا» طبع عام ١٢٧٤ هـ في طهران، إلى أن جاء أبو جعفر محمد بن الحسن بن فرّوخ الصفار الأعرج القمي (٢٩٠ هـ)، فكان المؤسس الحقيقي لفقه الشيعة الإمامية في فارس، وذلك في كتابه «بشائر الدرجات في علوم آل محمد، وما خصهم الله به» وطبع سنة ١٢٨٥ هـ،وجاء بعد ابن فرّوخ الأعرج محمد بن يعقوب الكليني الرازي، شيخ الشيعة في القرن الرابع الهجري (٣٢٨ هـ) فألف كتاب «الكافي في علم الدين». فتكوَّن عمدة مذهب الإمامية، وطبع منه سبعة أجزاء كبيرة (١٣٨١ هـ) بطهران[١٢].

(١٢) الفقه الإسلامي وأدلته ٤٤/١، الإمام الصادق، أبو زهرة ص٢٩٦، ومابعدها. لمحات في المكتبة والبحث والمصادر ص٢٥٢، تاريخ الأدب العربي ٣٣٥/٣.

ويعتمد مذهب الإمامية الفقهي على القرآن الكريم والأحاديث النبوية التي رواها حصراً أئمتهم من آل البيت، ويعتمدون على العقل فيما لم يرد فيه نص، ويرفضون الإجماع والقياس، ويَدْعون لاستمرار الاجتهاد وتشجيعه، ولكن المرجع للأحكام الشرعية دائماً هم الأئمة.

وفقه الإمامية قريب من المذهب الشافعي، ولا يختلف كثيراً عن فقه أهل السنة إلا في مسائل محدودة كاختلاف بقية المذاهب مع بعضها.

ومن أهم الكتب الفقهية للمذهب الجعفري المختصر النافع لنجم الدين الحلّي (٦٧٦ هـ)، والروضة البهية للشهيد زين الدين الجَعْبي العاملي (٩٦٥ هـ)، وهما مطبوعان بمصر، وشرائع الإسلام للمحقق الحلّي، وجواهر الكلام لمحمد حسن بن باقر النجفي (١٣٢٢ هـ).

سابعاً: المذهب الإباضي

مؤسس هذا المذهب عبد الله بن إباض التميمي (٨٠ هـ). والإباضية طائفة من الخوارج، لكنها أكثر فرقهم

اعتدالاً ، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية وأهل السنة ، مما أتاح لهم سبيل البقاء والاستمرار .

وينتشر المذهب الإباضي في شمال إفريقيا في بعض جبال الجزائر وطرابلس الغرب ، وفي زنجبار وعُمان .

ومصدر الفقه عندهم هو القرآن والسنة وإجماع طائفتهم والقياس ، ولا يأخذون بالسنة المعارضة للقرآن ، ولهم أقوال محصورة تخالف فقه المذاهب الأربعة .

ومن أشهر كتبهم شرح النيل ، وشفاء الغليل للشيخ محمد ابن يوسف بن أطْفَيِّش (١٣٣٢ هـ) ، في عشرة مجلدات ، مطبوع بالمطبعة السنية بمصر (١٣٤٣ هـ) ، وكتاب التكميل ، والورد البسام كلاهما للثميني (١٢٢٣ هـ) ، ومطبوعان بتونس (١٣٤٤ هـ ١٣٤٥ هـ) .

ثامناً : المذهب الظاهري

ليس لهذا المذهب أتباع اليوم ، لكنه يذكر في الموسوعات الفقهية كمذهب ثامن ، لذلك نشير إليه باختصار .

ومؤسس المذهب الظاهري أبـو سليمـان داود بن علي الأصفهاني (٢٧٠ هـ) الذي كان من حفاظ الحديث وفقيهاً مجتهداً وصاحب مذهب مستقل يعتمد على العمل بظاهر القرآن والسنة ، ويأخذ بالإجماع من الصحابة فقط ، ثم بالاستصحاب والإباحة الأصلية ، ويرفض القياس والرأي وتعليل النصوص ، وانتشر هذا المذهب بالأندلس ، ثم اضمحل في القرن الخامس الهجري ، وانقرض تماماً في القرن الثامن .

وقد أشاد هذا المذهب وانتصر له ، وكان السبب في بقاء آرائه حتى الآن ، الإمام أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الأندلسي (٤٥٦ هـ) ، الذي صنف كتب المذهب ، ومن أهمها « المحلى » في الفقه ، و « الإحكام في أصول الأحكام » في أصول الفقه .

ويوجد بعض أجزاء « المحلى » مخطوطة في المكتبة الظاهرية برقم عام ١١٠٨ .

ولا بد هنا من الإشادة بالتراث الفقهي عند المسلمين ، وأنه أوسع تشريع في العالم ، وأنه كان يغطي في تطبيقه العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه بالمذاهب المختلفة ، وكان له تأثير كبير على

الأمم الأخرى، واقتبس منه كثير من شعوب العالم وتشريعاته في القديم عن طريق الأندلس وصقلية وتركستان وبخارى والبلقان، وفي الحديث باعتباره أحد مصادر التشريع بالعالم.

كما لا بد من التنويه بتطور الكتابة في الفقه في كل مذهب من عصر الأئمة إلى الشروح ثم المختصرات والمتون، ثم الموسوعات الفقهية، ثم القواعد الفقهية، والأشباه والنظائر، والفقه المقارن، ثم النظريات الفقهية، ثم التعريفات والحدود، ثم اصدار التشريعات والقوانين اليوم.



الفصل الخامس

علم أصول الفقه



يشكل علم أصول الفقه المنارة الوضاءة بين العلوم الشرعية، ويعتبر مفخرة الأمة في حضارتها وعلومها.

وهو علم فريد في تاريخ الأمم والشرائع القديمة والحديثة، وهو مما انفرد به المسلمون بين الأمم.

قال ابن خلدون: «واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في الملة»[1] وذلك أنه عبارة عن القواعد والمبادىء التي سار عليها الفقهاء في استنباط الأحكام، وبيانها للناس، وأنه يتكون من الضوابط التي يلتزم بها الفقيه أو المجتهد، بقصد أن يكون

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٤.

طريقه مستقيماً واضحاً لا يعتريه وهن أو انحراف، ولا خبط أو اضطراب، كما أن هذا العلم هو المصباح الذي ورثته الأجيال، وحمله العلماء لبيان الأحكام الشرعية في كل جديد ومعالجة المشاكل التي تطرأ، وغير ذلك وفق منهج محدد، يسير عليه العالم في الاستنباط والاجتهاد.

وهو من العلوم الأساسية في الدين لضبط الخلاف، وتمييز الغث من السمين، وكشف مناهج الأئمة والعلماء في الاجتهاد.

تعريف علم أصول الفقه

عرَّف القاضي البيضاوي علم أصول الفقه بأنه «معرفةُ دَلائل الفِقه إجمالاً، وكيفيةُ الاستفادة منها، وحالُ المستفيد»[٢].

وهذا من أشهر التعريفات التي تناقلها العلماء، وكتبوها في مصنفات الدراسة والتدريس. ويعني أنه العلم الذي يكسب صاحبه معرفة بمصادر التشريع الإسلامي، وكيفية الاستفادة منها في استخراج الأحكام الشرعية، واستنباط الأقوال والآراء، وبيان الدليل الصحيح الراجح عند التعارض الظاهري، ويرشد هذا العلم

(٢) منهاج الوصول إلى معرفة علم الأصول، له ص٣.

إلى شرائط الاجتهاد ليسعى الإنسان لتحصيلها، ثم يستعين بطرق الاستدلال ليستنير بها على ضوء الكتاب والسنة ومبادىء اللغة العربية.

وذكر ابن خلدون أهمية أصول الفقه، فقال: «اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية، وأجلّها قَدْراً، وأكثرِها فائدة» ثم عرَّفه فقال: «وهو في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام»[٣].

وعرَّف أكثر العلماء أصول الفقه بأنه «العلم بالقواعد الكلية التي يُتوصَّل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية»[٤].

أي هو العلم الذي يضع في يد الباحث القواعد الكلية، والضوابط الصحيحة التي يستطيع المجتهد بواسطتها أن يعرف الأحكام الشرعية العملية المعروفة بالفقه والأحكام الفقهية، ويستخرجها من مصادرها المعتمدة، ليرشد الناس إليها.

---

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٢.

(٤) فواتح الرحموت ١/١٤، شرح الكوكب المنير ١/٤٤.

بواعث علم أصول الفقه وأهدافه

كانت البواعث لظهور علم أصول الفقه كثيرة ومتنوعة، وهي بواعث طيبة، وتهدف إلى غايات سامية، ومقاصد نبيلة، نذكر منها:

١ ــ حفظ الشريعة الغراء: كان علم أصول الفقه أحد الوسائل الناجحة لحفظ الدين من التحريف والتضليل، فصان أدلة التشريع، وحفظ حجج الأحكام، وعرف الناس بمصادر التشريع الأصلية التي يجب الالتزام بها والرجوع إليها، كما بين المصادر الفرعية والتبعية التي كانت المجال الرحب لاتساع الشريعة ومرونتها، وتلبية حاجات الأمة فيما يعتريها من وقائع وأحداث.

وكان علم أصول الفقه العقبة الكأداء في وجه المنحرفين والمضللين والمشعوذين الذين حاولوا الدس في الأحكام من مصادر باطلة، أو هدم الدين بنفي بعض مصادره وأحكامه، كإنكار السنة مثلاً، والتضليل في دلالات الألفاظ وطرق الاستنباط، فكان علم أصول الفقه سداً منيعاً أمامهم، وحائلاً بينهم وبين تحقيق مآربهم، فبقي الدين محفوظاً حتى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة.

٢ ــ إمتثال الأوامر الشرعية التي تدعو المسلمين إلى رعاية القرآن وحفظه، وتدبره وفهم معانيه، ونقل القرآن وتبليغه، ورواية الأحاديث والأخبار ونقلها إلى الناس جميعاً، لذلك شمَّر العلماء عن سواعدهم لتحقيق الأوامر في الآيات والأحاديث، ووضعها في التطبيق والحياة، ليكون القرآن دستور أمة، ونظام حياة، للفرد والمجتمع، وتكون السنة مُبيِّنة وشارحة للقرآن، ومرشدة للناس.

٣ ــ الجمع بين مدرستي أهل الرأي وأهل الحديث اللتين ظهرتا في القرن الأول الهجري، ونشطتا في النصف الأول من القرن الثاني الهجري في الاستنباط والتشريع، وفهم الدين ونشره، وقوي النزاع بينهما، وبلغ أشده، وهما يمثلان اتجاهين لتفسير النصوص في كل عصر.

فكان أهل الحديث في الحجاز يعتمدون على الرواية والأثر، ويقدمون النصوص على الفكر والرأي، ويهاجمون أصحاب الرأي بالتوسع فيه، والخروج عن مقاصد النص.

لكن شاع في مدرسة الحديث الركود والجمود والعجز عن الجدل والمناظرة، والارتباك عند نزول الوقائع الجديدة، وظهر فيها

الضعف في الرد على الخصوم، بينما كانت مدرسة الرأي في العراق تعتمد على الاجتهاد وإعمال الفكر والنظر والعقل في الاستنباط، وكان أصحابها على جانب عقلي بارع، وتفكير جدلي واسع، ومقدرة على المناظرة، لكنهم يفتقرون إلى الحديث لقلته عندهم، كما تشددوا في الرواية والتثبت فيها لشيوع الزندقة في العراق، وانتشار الكذب والوضع في الأخبار، واشتد الجدل بين المدرستين، ونشط النقاش العلمي، وعقدت المناظرات، وحاول كل فريق أن يدعم آراءه بالأدلة والحجج والبراهين العقلية والنقلية، وطعن كل فريق بغيره، ونسب إليه اتهامات عديدة، وظهرت آثار الانقسام والاختلاف على الصعيد الشعبي والعلمي والرسمي، فظهرت الحاجة لوضع قواعد في الاجتهاد والاستنباط، وتحديد الضوابط والمناهج التي يجب السير عليها والالتزام بها. فجاء علم أصول الفقه محققاً لهذا الهدف، فوضع أصول البحث والاجتهاد، وقرب بين الفريقين، وأزال الخلاف بينهما، ورسم المنهج الموحد للسير عليه.

٤ ـ دراسة الاختلاف بين الأئمة والمجتهدين والفقهاء، وبيان الاختلاف المقبول والمفيد، والخلاف المرفوض والضار، وقام علم أصول الفقه بهذه المهمة الجليلة، وأكد أن الاختلاف في الأصل

يعتمد على أسس موضوعية، ومبادىء علمية، وأنه محدد بضوابط دقيقة، وهو أبعد ما يكون عن التشهي أو الهوى، أو الانتصار لذات أو شخص، وأن الاختلاف أمر طبيعي في جميع العلوم والفنون، وعند جميع الأشخاص والمذاهب، وأن مبادىء الشريعة تقره، وأن الفقهاء التزموا النصوص الشرعية، وساروا على المنهج القويم، وأن تاريخ التشريع وسيرة الأئمة، يؤكد ذلك، فكان الإخلاص رائدهم، والتعبُّدُ لله هدفهم، ومرضاة الله تعالى مبتغاهم، وطلب العلم والوصل إلى الحق أسمى أمانيهم.

وكشف علم أصول الفقه الخلاف المنبوذ الذي يؤدي إلى مجرد التفرقة، ويفتقر إلى الهدف النبيل، ويعتمد على الوسائل الواهية، ويسعى إلى الزيغ والانحراف.

وجاء علم أصول الفقه يحقق هذه النوايا والبواعث، وصار علماً شرعياً مهماً لكنه ليس غاية في ذاته، وإنما هو طريقة ووسيلة إلى معرفة حكم الله تعالى، فلا يقصد منه الحفظ والتلقي، وإنما يهدف أن يكون سلاحاً مضاءً، ومفتاحاً سديداً في يد الباحث والعالم، ونوراً وضياءً في يد الفقيه والمجتهد، يرشد إلى الصواب، ويقوِّم فكره وعقله ومنطقه في طريق الاستنباط والاجتهاد.

فوائد علم أصول الفقه

كان لعلم أصول الفقه فوائد جليلة، وحقق نتائج سامية، ويمكن تعدادها باختصار:

١ ــ إن علم أصول الفقه يرسم للمجتهد الطريق القويم الموصّل إلى استنباط الأحكام الشرعية من مصادرها الصحيحة، ويضع أمامه منهجاً واضحاً ومستقيماً في كيفية الاستدلال.

٢ ــ إن علم أصول الفقه يبين للأُمة عامة ولأُتباع الأئمة والمجتهدين ودارسي الفقه خاصة، **المنهج الذي سلكه الإمام المجتهد**، ويرسم لهم معالم الطريق الذي سار عليه في الاستنباط، لتطمئن قلوبهم لعلمه، وتزداد ثقتهم بفقهه ورأيه.

٣ ــ يكوِّن علم أصول الفقه عند الدارس والباحث **ملكة عقلية وفقهية تصحِّح تفكيره**، وتعبِّد الطريق أمامه للاجتهاد والاستنباط والقياس وتخريج المسائل، مع الإدراك الصحيح، والفهم الدقيق للنصوص، ثم للحكم على الأشياء في الدعوة والتعليم، والفتوى والقضاء والحكم.

٤ ـــ يرسم علم أصول الفقه الطريق للعلماء في كل عصر ، **لمعرفة حكم الله تعالى للمسائل المستجدة ، والوقائع الحادثة** التي لم يرد عليها نص شرعي ، ولم يذكرها الأئمة في كتبهم ، فيخوض العالم غمار هذه الأحداث ، ويعرف ما يتفق منها مع حكم الله تعالى ، وما يحقق مقاصده ، ويحفظ شريعته ، ويبقى التشريع مسايراً لتطورات العصر ، وموافقاً لمصالح الأمة وصالحاً لكل زمان ومكان .

٥ ـــ إن علم أصول الفقه **يضبط الفروع الفقهية بأصولها التشريعية** ، ويبين أساس الأحكام ، ويجمع المبادىء المشتركة ، ويظهر أسباب التباين بينها ، ومناط الاستدلال ومحل النزاع والخلاف .

موضوع علم أصول الفقه

لكل علم من العلوم موضوع خاص يميزه عن غيره ، وهو عبارة عن مجموعات المسائل الكلية التي يدور فيها البحث عن الأحوال الذاتية .

وينحصر موضوع علم أصول الفقه بالأدلة الشرعية الكلية

من حيث كيفية استنباط الأحكام الشرعية منها، ويمكن تفصيل ذلك بالأمور الخمسة التالية:

١ ــ **الأدلة الشرعية الكلية التي يتوصل بها إلى الأحكام الشرعية**، وهي **مصادر التشريع** أو أصول التشريع التي يستقي منها المسلم حكم الله تعالى.

وهذه الأدلة قسمان: قسم متفق عليه، وهي القرآن الكريم والسنة الشريفة والإجماع والقياس. وقسم مختلف فيه، وهي الاستحسان والمصلحة المرسلة والاستصحاب وشرع من قبلنا وقول الصحابي والعرف وسد الذرائع.

٢ ــ **الأحكام الشرعية الكلية** التي تثبت بالأدلة السابقة، وهذه الأحكام الكلية قسمان: **الأول**: الأحكام التكليفية من الوجوب والحرمة والندب والكراهة والإباحة. **والثاني**: الأحكام الوضعية المتعلقة بالقسم الأول، وهي السبب والشرط والمانع والصحة والفساد والرخصة والعزيمة.

٣ ــ **الاجتهاد وشروط المجتهد وصفاته**، ويقابله التقليد والمقلد.

٤ ــ **التعارض والترجيح** الذي يتعلق بالأدلة، ويقتضي معرفة

الدليل الصحيح والدليل القوي من جهة الثبوت والدلالة، وعند التعارض يحتاج المجتهد للترجيح بوسائل منطقية وموضوعية وعلمية لاختيار الصواب.

٥ــ **الدلالات التي تتعلق بمباحث الكتاب والسنة**، وتبين كيفية اقتباس الأحكام من النصوص، وقواعد الاستنباط، وبيان وجوه الدلالة من الصيغة، والبيان، كالدلالة بالنظم أو الفحوى، أو الاقتضاء أو الضرورة، ودلالة اللفظ العام والخاص، وتخصيص العام، ودلالة اللفظ المطلق والمقيد، وتقييد المطلق، ودلالة اللفظ المشترك، وحروف الجر، وحروف المعاني، والاستثناء وغيره.

ومن هنا يظهر أن علم أصول الفقه يعتمد على علوم اللغة العربية في دلالة الألفاظ، وعلى بعض العلوم الشرعية كأصول الدين والتفسير والحديث وعلم المنطق والخلاف والفروع الفقهية.

نشأة علم أصول الفقه وتطوره

إن علم أصول الفقه ــ كما ذكرنا ــ علم فريد في تاريخ الأمم والشرائع القديمة والحديثة، وقد تميزت به الأمة الإسلامية على غيرها في مجال التشريع، ويحاول الآن بعض علماء القانون

والتشريع الوضعي مجاراة هذا العلم، وإيجاد مثيل له تحت عنوان «أصول القانون» أو «طرق التفسير للنصوص والتشريعات» مع الفارق الكبير بينها وبين أصول الفقه الإسلامي في الدقة والشمول والموضوعية والتعمق والأصالة.

ويتأكد تميُّز علم أصول الفقه في الشرائع العالمية إذا قورن مع مناهج علماء القانون في شرحه وفهمه وتفسيره، وهو ما يعرف بمدارس التفسير التي ظهرت في العصر الحديث في أوروبا، وهي مدرسة **الشرح على المتون** التي تعتمد على النصوص وتقف عندها، وتجمد وراءها، وتعرقل سير القانون في التطبيق عند عدم النص. و**المدرسة التاريخية** التي تعتبر القانون وليد الحاجة والبيئة الاجتماعية، ويجب تطويره مع تطور الحاجة وتغير البيئة، وفتحت المجال للقضاة والشراح للعبث بالقانون وتعديله. والمدرسة الثالثة هي **المدرسة العلمية** التي أرادت التخلص من إفراط المدرسة الأولى وتفريط المدرسة الثانية، فلم تهمل إرادة المشرِّع، ولم تتجاوز النصوص، ولكنها بحثت عن الإرادة الحقيقية مع الرجوع إلى المصادر الأصلية والمقاصد الرئيسية لاستخلاص الأحكام وتطبيقها على الأحداث.

وكان الإمام الشافعي أول من دوَّن علم أصول الفقه، وكتب فيه رسالته المشهورة «الرسالة» التي تعتبر أصل الأصول. قال الرازي: «إعلم أن نسبة الشافعي إلى علم الأصول كنسبة أرسطو إلى علم المنطق، وكنسبة الخليل بن أحمد إلى علم العروض»[٥]، وقال ابن خلدون: «وكان أول من كتب فيه الشافعي»[٦].

والشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي القرشي، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ، ونشأ بمكة المكرمة، وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وأخذ تفسير القرآن وعلومه عن علماء مكة، كما درس فيها الفقه، وأُذِن له بالإفتاء، وهو ابن خمس عشرة سنة، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، وأخذ «الموطأ» وعلوم الحديث عن الإمام مالك وعلماء المدينة، ثم خرج إلى البادية لدراسة اللغة، ولزم قبيلة هذيل، وحفظ شعرها حتى أصبح حجة في اللغة، ثم سافر إلى العراق، وأخذ فقه العراقيين عن الإمام محمد بن الحسن، فجمع بين علم أهل الحديث وعلم أهل الرأي، كما سافر إلى اليمن

---

(٥) مناقب الشافعي، له ص٥٦.

(٦) مقدمة ابن خلدون ص٤٥٥.

ودرس علم الجدل والمنطق والمناظرة، وتأهل لتدوين علم أصول الفقه، وجمع قواعده، واستنباط منهجه، وتحديد موضوعاته.

كتب الشافعي في أصول الفقه

صنف الإمام الشافعي عدة كتب في علم أصول الفقه، وهي:

١ ــ الرسالة: وهي أكبر الكتب وأهمها وأشهرها، كتبها الإمام الشافعي في مكة، ثم صاغها ثانية وأرسلها للفقيه الحافظ عبد الرحمن بن مهدي في بغداد، ثم أعادها ثالثة في مصر وجعلها مقدمة لكتابه «الأم» في الفقه، وتتضمن الرسالة معظم مباحث أصول الفقه، كالبيان وطرق الاستنباط، ومصادر التشريع المقبولة والمرفوضة، والناسخ والمنسوخ، وأكد على حجية السنة ووجوب اتباعها وحجية خبر الآحاد.

قال عبد الرحمن: «لما نظرت الرسالة للشافعي أذهلتني، لأنني رأيت كلام رجل فصيح، فإني لأكثر الدعاء له»[٧]

(٧) الرسالة ص ١، وقد طبعت الرسالة عدة مرات.

٢ ــ **جُماع العلم**: خصصه الشافعي لإثبات حجية خبر الآحاد، ووجوب العمل به، والرد على من أنكره، وقد أفرده لأهميته، وشدة الاختلاف فيه في ذلك الوقت[٨].

٣ ــ **إبطال الاستحسان**: بيّن فيه الإمام الشافعي معنى الاستحسان، ورد على القائلين به، واعتبره دليلاً غير مقبول، لأن الواجب اتباع ما شرع الله تعالى، لا ما تستحسنه العقول[٩].

٤ ــ **اختلاف الحديث**: للجمع بين الأحاديث التي يبدو عليها التعارض، وهو أول كتاب من نوعه في هذا الموضوع[١٠].

ويضاف إلى ذلك ما بثه الإمام الشافعي من قواعد علم أصول الفقه في كتابه «الأم» وكتاب «أحكام القرآن» وكتاب «القياس».

وكانت كتب الإمام الشافعي في أصول الفقه، وخاصة «الرسالة» ذات أثر كبير وعظيم على العلماء، فوحّدت شملهم،

---

(٨) المصدر السابق نفسه.

(٩) المصدر السابق نفسه.

(١٠) هذه الكتب مطبوعة على هامش الجزء السابع من كتاب «الأم».

وجمعت مدرستي الرأي والحديث، وحققت أهداف علم أصول الفقه، ووضعت المنهج العلمي الموضوعي للاجتهاد والاستنباط وكانت المؤئل للمتنازعين، والمحجَّة للمخالفين، وخففت من أثر الخلاف، وسار كثير من العلماء على نهج الرسالة.

وكانت الرسالة أيضاً منارة باسقة لدعوة العلماء للتأليف والكتابة في أصول الفقه، فكتبوا المصنفات، وأكملوا البناء الذي أرسى أساسه الإمام الشافعي، وزادوا عليه بما يتفق مع المذاهب والآراء الأخرى.

طرق التأليف في علم أصول الفقه

تعددت طرق التأليف في علم أصول الفقه، وظهرت ثلاث طرق، وهي:

١ ــ **طريقة المتكلمين أو الشافعية** التي سارت على نهج الرسالة، واتخاذ منهج علماء الكلام في الحوار والسؤال والجواب، وتقرير المسائل والتدليل عليها، وإقامة الحجج وتقرير القواعد الأصولية وتنقيحها، وتأييدها بالبرهان العقلي والنقلي، والنظر إلى الحقائق

المجردة، ويكثر فيها أسلوب «الفنقلة» أي «فإن قلتَ كذا، قلنا كذا». ويقل فيها الفروع الفقهية لأنها تهتم بالقواعد والأصول لتكون أساساً وميزاناً للفروع، لكنها تسرف في الأمور النظرية والعقلية، ويقل فيها الربط بين الأصول والفروع.

ومن الكتب المصنّفة على هذه الطريقة: المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي (٤٣٦ هـ)، والبرهان لإمام الحرمين الجويني (٤٧٨ هـ)، والمستصفى لحجة الإسلام الغزالي (٥٠٥ هـ)، وهي كتب مطبوعة. وجاء بعدها كتاب المحصول للرازي (٦٠٦ هـ) الذي جمع الكتب الثلاثة ولخّصها، ثم أصبح محوراً لعلم أصول الفقه بين شرح واختصار ومتن حتى وقتنا الحاضر، وأشهرها متن «منهاج الوصول» للبيضاوي، وشروحه. كما جاء في عصر الرازي كتاب «الإحكام في أصول الأحكام» للآمدي (٦٣١ هـ)، ولخص واختصر الكتب الثلاثة الأولى بأسلوب مستقل وطريقة خاصة.

٢ ــ طريقة الفقهاء أو الحنفية التي تعتمد على طريقة التأليف في علم الفقه، بسرد مبادىء الأصول وقواعده بأسلوب متتابع، مع سبك القواعد الأصولية وربطها بالفروع الفقهية، وهذه الطريقة

متأثرة بالفقه، وتسعى لخدمة كل مذهب على حدة، وتستنبط القواعد الأُصولية من مجموع الفروع الفقهية المتشابهة، لوضعها في قواعد كلية، وضوابط عامة، لتكون أشبه بقواعد الفقه الكلية.

وأشهر الكتب على هذه الطريقة كتاب الأُصول للإمام الكرخي (٣٤٠ هـ)، وكتاب الأُصول للجصاص الرازي (٣٧٠ هـ) وتقويم الأدلة للدبوسي (٤٣٠ هـ) وكتاب الأُصول للسرخسي (٤٩٠ هـ)، وأهمها كتاب الأُصول للبزدوي (٤٨٢ هـ) الذي شرحه علاء الدين البخاري (٧٣٠ هـ) في كتابه الذائع المعتمد «كشف الأسرار».

٣ ـ طريق المتأخرين التي جمعت بين الطريقتين السابقتين بما فيهما من مزايا، وإبعاد المآخذ، فتقعد القاعدة، وتقيم الأَصل، وتثبته بالأدلة والبراهين، ثم تذكر الفروع والأحكام الفقهية التي تدخل تحته، ثم تبين الاستثناء منه مع بيان السبب. وسار على هذه الطريقة معظم العلماء من المذاهب.

ومن الكتب المصنفة على هذه الطريقة: بديع النظام، الجامع بين أصول البزدوي والإحكام للآمدي، للساعاتي

(٦٩٤ هـ) ، وتنقيح الأصول لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود (٧٤٧ هـ) ، والتحرير لكمال الدين بن الهمام (٨٦١ هـ) ، وجمع الجوامع لتاج الدين السبكي (٧٧١ هـ) ، ومسلم الثبوت لابن عبد الشكور (١١١٩ هـ) .

ويسير على هذه الطريقة معظم الكتب المعاصرة ، ومنها إرشاد الفحول للشوكاني ، وأصول الفقه للخضري ، وأصول الفقه لخلاف ، وأصول الفقه لأبي زهرة ، والكتب المقررة للتدريس في الجامعات .

مخطوطات أصول الفقه في مكتبة الأسد

تضم مكتبة الأسد المخطوطات التي كانت متوفرة في الظاهرية ، كما تسعى لضم المخطوطات من مكتبة الأحمدية بحلب وسائر المحافظات السورية .

ويحوي فهرس المخطوطات في المكتبة الظاهرية ١٩١ نسخة خطية في علم أصول الفقه ، تتضمن نسخاً مكررة ، وكتباً كاملة ، وأجزاءً من كتب ورسائل صغيرة ، ولا تزال هذه المخطوطات

محصورة في الفهرس المكتوب بخط اليد، ولم تترتب بعد، ولم تصنف أو تطبع كما حصل في مخطوطات معظم العلوم.

وتأخذ مخطوطات علم أصول الفقه في فهرس الظاهرية الأرقام العامة من (٢٧٩٧ ــ ٢٩٠٩)، وبأرقام خاصة من (١ ــ ١٩١)، ويضاف إليها بعض المخطوطات المذكورة في آخر الفهرس في سائر الفنون والعلوم، وبعض المخطوطات التي جاءت ــ خطأً ــ في فهرس العلوم الأخرى، مثل مخطوطة «جامع الأسرار شرح المنار» للشاش، الرقم العام ١٥٥، ورقمه القديم ٣٥٦٧، ومخطوطة «أصول الفقه» لمؤلف غير معروف، والرقم العام ١٥٦ والرقم القديم ٣٥٨٩، وعليها ملاحظة: «ناقص من أوله»، ومخطوطة شرح الورقات ومجموع في الأصول» لأحمد بن قاسم العبّادي (٩٩٢ هـ) الرقم العام ١٦٥ والقديم ٤١٠٧، وهذا الكتاب مطبوع على هامش «إرشاد الفحول» للشوكاني، بمطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٦ هـ /١٩٣٧م.

ومن المخطوطات التي وردت في الفهرس المخطوط تحت عنوان أصول الفقه: البحر المحيط، للفقيه الشافعي الأصولي بدر الدين الزركشي (٧٩٤ هـ) وهو من أهم كتب أصول الفقه، في

خمسة أجزاء بالظاهرية، ولم ير النور حتى الآن، وتقوم بعض الجامعات بالرياض بتحقيقه، ومنها «المحصول» للرازي، وقد طبع بالرياض، ويوجد نسخة خطية منه في المكتبة الأحمدية بحلب تحت رقم ٤١٦ أصول، وقد ضمت مخطوطاتها إلى مكتبة الأسد، واعتمد الدكتور طه جابر العلواني الذي حقق المحصول على نسخة حلب.

ومن المخطوطات «المغني في أصول الحنفية» للخبازي، وقد طبع بجامعة أم القرى بمكة المكرمة دون أن يطلع المحقق على نسخة الظاهرية، ولعل السبب أن المخطوطة لم تدوَّن في أصول الفقه وإنما جاءت في مطلع الفهرس الخطي بالرقم العام ٢٢٨، والقديم ٤١٢٢.

ومنها «روضة الناظر» لابن قدامة، مطبوع، ومخطوطة «شرح جمع الجوامع» للمحلي، مطبوع، وكشف الأسرار للبزدوي، مطبوع، وشرح جمع الجوامع للزركشي ـــ قطعة منه، لم تطبع، وشرح مختصر ابن الحاجب، للعضد، مطبوع، وذكر «طوالع الأنوار للبيضاوي رقم ٢٠٩٩» خطأً في أصول الفقه، وهو

في التوحيد. يضاف إلى ذلك مجاميع أصول الفقه الواردة في فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع (١/٤٥٢، ٢/٤٠٠ ــ ٤٠١).
كما يضاف إلى ذلك مخطوطات أصول الفقه بالمكتبة الأحمدية بحلب، ثم انتقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق.

الفصـل السـادس

علم السيرة النبوية



تعريف وبيان

يعرف هذا العلم بعلم السِّيَر، أو علم المغازي، أو علم المغازي والسير. والسِّيَر جمع سيرة، وهـي الحالـة من السَّيْـر، كالجلسة للجلوس، والركبة للركوب، ثم نقلت لغة إلى معنـى الطريقة والمذهب، ثم غَلبت في الشرع على أمور المغازي وما يتعلق بها كالمناسك، وسميت المغازي سِيَراً لأن أول أمورها السَّيْر إلى الغزو.

وخصص الفقهاء كتاباً للسير ليضم سير النبي صلى الله عليه وسلم وطرقه في مغازيه وسير أصحابه رضي الله عنهم. وما نقل عنه عليه السلام في ذلك.

وفي الأصل تختص السِّير بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في المغازي ثم أُلحق بها سيرة الصحابة في ذلك.

والمقصود من علم السِّيرة — فيما بعد، وحتى الآن — هو الاطلاع ودراسة حياة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصيته وصفاته وجميع تصرفاته، وطريقته في الدعوة والتبليغ والتربية لصحابته رضوان الله عليهم.

ويصنف كثير من العلماء السيرة النبوية مع علم التاريخ، لأنها تمثل جزءً من التاريخ العربي والإسلامي والعالمي، وتضم أخبار غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وتاريخ حياته وتطور الدولة الإسلامية من البعثة إلى الهجرة ثم إقامة الدولة الإسلامية وما وقع بينها وبين المشركين، وصلتها مع القبائل العربية ثم مع الدول الأخرى. ولكن السيرة النبوية استقلت عن التاريخ وأفردت بعلم خاص لأهميتها الفريدة.

كما يعتبر علم السيرة النبوية جزء من الحديث النبوي لأنها تصف حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحواله الخاصة والعامة، وهذا ما يتحدث عنه علم الحديث، ومدوّن في كتب

السنة، ولكن الفرق بينهما، وهو السبب في استقلال السيرة، وظهور علمين في موضوع واحد، هو المنهج في الجمع والتدوين والرواية والنقل، فعلم الحديث يخضع لمنهج نقدي دقيق ــ كما سبق ــ ويعتمد على الرواية الموثوقة، بينما بقيت أخبار السيرة مسايرة لعلم التاريخ في نقل الروايات والأخبار دون تمحيص دقيق، وشروط محددة.

كما تدخل السِّيَر في علم الفقه الذي يضم الأحكام الشرعية المأخوذة من السنة النبوية في المعاملة مع الكفار والمستأمنين وغيرهم، ويبحث علاقة الدولة الإسلامية بغير المسلمين سواء كانوا في داخل الدولة الإسلامية أم خارجها، وسواء كانت المعاملة في حالة السلم أم في حالة الحرب، وسواء كانت العلاقة مع المحاربين أثناء القتال أو بعد القتال في أنفسهم كأسرى، وما لهم كغنائم. وما يترتب عليه من آثار في الأموال والأشخاص والأراضي، وغير ذلك من أحكام الجهاد، وهذا ما يعرف في الاصطلاح القانوني المعاصر بالعلاقات الدولية أو القانون الدولي العام[1].

---

(١) انظر دستور العلماء ٢/١٩٥، كشاف اصطلاح الفنون ٣/٦٦٣، طرق تدريس التربية الإسلامية، لنا، ص ٤٠٠، وما بعدها.

أهمية السيرة

ويظهر من ذلك السبب في ظهور علم السيرة النبوية واستقلاله عن التاريخ والحديث والفقه، والاهتمام به، وخاصة في عصرنا الحاضر، وهو الاطلاع الكامل والمعرفة التفصيلية لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخباره للاستفادة منها واستنباط العبر والعظات والفوائد والأحكام والمبادىء والقيم التي طبقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملياً بقصد التأسي به، والاقتداء بهديه، وهو ما يعرف بفقه السيرة، وليس المقصود من دراسة السيرة مجرد الأحداث التاريخية، والتصوير الجامد لذلك العصر. وبذلك تصبح أحداث السيرة وسيلة وليست غاية في ذاتها، ولا يقتصر منها على الجانب التاريخي أو التسلية بالقصص والروايات والأخبار.

ويؤكد ذلك أن السيرة النبوية هي الصورة المثالية للحياة الإنسانية في جوانبها الخاصة والعامة، العقلية والروحية والعاطفية والأخلاقية والتشريعية، وأن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم شاملة لكل جوانب الحياة في الإنسان، ليكون الرسول قدوة مثالية للمسلمين جميعاً في جميع جزئيات حياتهم.

وأن السيرة النبوية ترجمة عملية للقرآن الكريم، فقد سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن خُلق الرسول صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان خُلُقُه القرآن» ويقاس على ذلك إيمانه وعقيدته، وعباداته ومعاملاته.

وأن السيرة النبوية عون على فهم كتاب الله تعالى، وتذوق روحه ومقاصده، فتكون السيرة وسيلة لفهم الإسلام كاملاً، بشكل عملي تطبيقي واقعي، مع بيان المنهج التنفيذي لمبادىء القرآن والسنة.

وأن السيرة النبوية تبيِّن للقارىء أحداث التاريخ الكبرى التي غيرت معالم الجزيرة العربية، وحولت خط سير البشرية من التخبط والفوضى والاضطراب والاتجاه المادي إلى بيان منهج الله في الإيمان، وبناء الحضارة، وسيادة القيم والمبادىء العليا.

كما أن السيرة النبوية وسيلة لجمع الأمة العربية الإسلامية، لأنها تمثل جزءً مهماً من تاريخ الجميع، ومن تراثهم الخالد الذي يعتزون به، ويفخرون بأمجاده، ويعتقدون أنه الصورة المشرقة الوضاءة في حياة الأجداد والآباء والأمة أجمع.

ميزات السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية عن سيرة سائر الأنبياء والرسل والقادة والعظماء والأعلام بميزات فريدة خاصة تجعلها في مجال القدوة والأسوة، وتظهر منها الأهمية لدراستها والعناية بها.

وأبرز هذه المزايا أنها أصح سيرة وصلت إلينا عن تاريخ الأنبياء والمرسلين والمصلحين وعظماء التاريخ، وأن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها منذ ولادته حتى وفاته ولحاقه بالرفيق الأعلى، مما دفع أحد النقاد الغربيين ليقول: «إن محمداً ــ عليه الصلاة والسلام ــ هو الوحيد الذي ولد على ضوء الشمس». وإن السيرة النبوية تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة والنبوة، ولم يخرج عن كونه إنساناً من البشر، ولم يلحق به شيء من صفات الألوهية، أو الصفات الخارقة للعادة، أو الخارجة عن مستوى حدود الإنسان الفطرية، إلا ما يتعلق بالمعجزات التي أيده الله بها لتصديقه في دعوى النبوة والرسالة، وإن السيرة النبوية نفسها من أعظم الأدلة على صدق رسالته ونبوته، كما أنها سيرة شاملة لكل النواحي الإنسانية في الحياة، وفي

ذات الوقت تظهر التوافق والتوازن العملي بين أمور الدين والدنيا، والعقيدة والشريعة، والتوازن بين الفرد والمجتمع، وبين المواطن والدولة[٢].

ومن ميزات السيرة النبوية أن مصادرها موثوقة، فبعضها متواتر ومشهور، وبعضها لا بأس به. وتستمد السيرة أخبارها من القرآن الكريم الذي ذكر جانباً كبيراً من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣]، ومن كتب السُّنة الصحيحة الكثيرة، ومن الشعر العربي المعاصر لعهد النبوة، ثم من كتب السيرة الخاصة التي سنذكرها.

ويلحق بالسيرة النبوية تراجم الصحابة الذين ربَّاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا أفضل جيل عرفه التاريخ، وشاركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة والجهاد والأحداث التاريخية والكيان الاجتماعي. وترد تراجم الصحابة أحياناً في نفس

(٢) انظر السيرة النبوية، للدكتور مصطفى السباعي ص١٣، الرسالة المحمدية، سليمان الندوي ص ٢٠.

(٣) انظر سيرة الرسول، صور مقتبسة من القرآن الكريم، دروزة، وكتاب السيرة النبوية على ضوء الكتاب والسنة، للدكتور محمد محمد أبو شهبة.

مصادر السيرة النبوية، وتختلط معها، أو تُضم إليها، كما صنفت كتب مستقلة عن الصحابة عامة أو عن بعضهم، أو عن جماعات منهم، أو عن كل فرد من كبار الصحابة والمشهورين منهم.

نشأة علم السيرة وتطوره

كانت شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم عظيمة وفذة، ومصطفاة ومختارة من رب العالمين، الذي أدَّبه ربه فأحسن تأديبه، وكان الصحابة رضوان الله عليهم كوكبة منيرة تلتف حوله، يتبعون أخباره وحياته وتصرفاته، ويعتنون بما يصدر عنه في حياته الخاصة والعامة. في خَلْقه وخُلُقه، وسلمه وحربه، وإقامته وسفره، وجِدِّه ومزاحه، وعسره ويسره، وصحته ومرضه، في بيته وخارجه، وكانوا يتناقلون أخباره في حياته، ثم رَوَوْها بعد وفاته لأولادهم وإلى التابعين وسائر المسلمين. ولكن علماء الصحابة لم يفردوا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بعلم مستقل، ولا بدروس خاصة، وكثرت مجالس القصاصين عن سيرته في المساجد والكتاتيب والمدارس وسائر المجالس، وظهر أقدم وأبسط ما دُوِّن

عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عند متأخري الصحابة[٤] .

وظهر في عصر التابعين، وعند كبار التابعين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمعنى الحقيقي في كتب كبيرة نسبياً، باسم «المغازي» ثم عرفت هذه الكتب في وقت مبكر باسم السيرة، ويعتبر الزهري ــ تقريباً ــ أول من استخدم كلمة السيرة كمصطلح جديد، وعلم خاص، ولذلك كانت السيرة النبوية من أقدم أشكال التدوين التاريخي عند المسلمين، وظهر عدد من المؤلفين بالسيرة في القرن الهجري الأول.

وأقدم من كتب في السيرة سعيد بن عبادة الخزرجي الذي يعد صحابياً عند الأكثر، وقيل إنه تابعي، وهو أول من دوّن أشياء عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ووصل كتابه إلى أوائل العصر العباسي عند حفيده سعيد بن عمرو. كما دوّن سهل ابن أبي حَثْمَة الأنصاري الصحابي (٤١ هـ) قطعة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورواها عنه حفيده الذي كان

(٤) تاريخ التراث العربي، سزكين، المجلد الأول، الجزء الثاني ص٨٧، لمحات في المكتبة، ص٢٢٧.

أستاذاً للواقدي، ونقل مثل ذلك عن سعيد بن المسيب (٩٤ هـ)، وعُبيد الله بن كعب (٩٧ هـ)، والشعبي (١٠٣ هـ).

ثم ظهرت التصانيف الأشهر على يد عدد من التابعين مثل عروة بن الزبير (٩٤ هـ)، وإبَّان بن عثمان (٩٦ هـ أو ١٠٥ هـ)، وابن شهاب الزهري (١٢٤ هـ)، وغيرهم من علماء التابعين في العصر الأموي[٥].

ثم ظهرت كتب السيرة التي وصلت إلينا أصولها في العصر الحاضر مثل سيرة محمد بن إسحاق (١٥٠ هـ) ونقلها لنا ابن هشام في السيرة النبوية المطبوعة، وكذا مغازي الواقدي (٢٠٧ هـ)، وطبقات ابن سعد (٢٣٠ هـ)، وتاريخ الطبري الذي خصص قسطاً وافراً للسيرة النبوية، وهو ما فعله ابن كثير في «البداية والنهاية»، وابن الأثير في «الكامل في التاريخ» وغيرهما.

وتتابع التأليف بالسيرة النبوية في مختلف العصور والبلدان

---

(٥) انظر تاريخ التراث العربي ٨٧/٢/١، كشف الظنون ٣٩/٢، ٤٧٠، مفتاح السعادة ٢٨٣/١.

وأفرد عدد من العلماء بعض جوانب السيرة بالتأليف مثل الشمائل للترمذي، ودلائل النبوة للبيهقي، والأصبهاني والماوردي، والوفا بأحوال المصطفى لابن الجَوْزي.

وتعرض بعض المتأخرين لدراسة السيرة النبوية من وجهات نظر مختلفة، مثل عبقرية محمد للعقاد، ومحمد المثل الكامل للأستاذ محمد أحمد جاد المولى، والرسول القائد لمحمود شيت خطاب، والرسول العربي وفن الحرب للعماد مصطفى طلاس، وفقه السيرة للغزالي، وفقه السيرة للبوطي.

ولا يزال الاهتمام بدراسة السيرة النبوية والاستفادة منها والتأليف فيها حتى عصرنا الحاضر، ويهتم بهذا الجانب خاصة علماء المسلين في الهند وباكستان، وتقرر عقد مؤتمرات السيرة النبوية لعلماء العالم الإسلامي في مختلف العواصم الإسلامية في الدَوْحة والقاهرة واستنبول، ولا تزال سيرة سيد الأنام وخاتم الأنبياء ترفد المكتبات، وتعطر الأسواق.

أهم كتب السيرة النبوية

نذكر هنا كتب السيرة النبوية تعداداً

١ ــ السيرة النبوية لابن هشام ــ أربعة أجزاء (٢١٨ هـ).
٢ ــ الدُّرر في اختصار المغازي والسير، لابن عبد البر القرطبي.
٣ ــ المغازي للواقدي ــ ثلاثة أجزاء.
٤ ــ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن قيم الجوزية ــ خمسة أجزاء (٧٥٢ هـ).
٥ ــ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر.
٦ ــ الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني.
٧ ــ أُسْد الغابة، لابن الأثير الجَزَري.
٨ ــ الرَوض الأُنُف، للسهيلي (٥٨١ هـ).
٩ ــ السيرة الحلبية ــ إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، علي بن ابراهيم الحلبي (١٠٤٤ هـ).
١٠ ــ السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي.
١١ ــ صور من حياة الرسول، أمين دويدار.

مخطوطات السيرة النبوية في مكتبة الأسد

كان الباعث للاطلاع على السيرة النبوية، ومعرفتها وتدريسها، والتأليف فيها، كبيراً وشاملاً، وصنفت الكتب فيها في

جميع الأقطار الإسلامية، ومنها بلاد الشام، لذلك توفرت المصنفات المختلفة في سورية لتتناول السيرة النبوية من جوانب متعددة ومستويات متفاوتة، وحفظ الكثير من هذه المخطوطات في المكتبة الظاهرية بدمشق.

ولكن القائمين على الظاهرية لم يفردوا كتب السيرة النبوية في فهرس مستقل، وإنما صنفوها مع كتب التاريخ، وكان أول فهرس لمخطوطات الظاهرية فهرس مخطوطات التاريخ الذي وضعه أستاذنا المرحوم يوسف العش، وذكر فيه الكتب التاريخية، ومنها التاريخ الإسلامي وعصوره، وكتب السيرة النبوية الخطية التي كانت في الظاهرية حتى سنة ١٩٤٥، وطبعه المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٤٧، ثم وردت مئات المخطوطات بعد ذلك، فنهض الأستاذ خالد الريان ــ مدير المخطوطات في مكتبة الأسد الآن ــ ووضع فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ــ التاريخ وملحقاته، الجزء الثاني في ٩٠٣ صفحات ــ وطبع الفهرس مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م. ورتب المؤلف المخطوطات على أحرف الهجاء، وجمع فيها مخطوطات السيرة.

النبوية ، وألحق المؤلف بهذا الجزء فهرساً للأعلام والنساخ والأماكن والموضوعات .

ويظهر من فهرس الموضوعات ص ٨٨٢ قسم التاريخ الإسلامي وعصوره حوالي ١١٩ مخطوطاً بدون تكرار النسخ ، منها ٨٢ مخطوطاً عن السيرة النبوية ، وهذا عدد وافر ، ويأتي بعد ذلك قسم التراجم ص ٨٩٠ وفيه عدد طيب عن الصحابة والتابعين والأئمة والأعلام .

لكن ورد في الفهرس الخطي للمخطوطات بالظاهرية قسم خاص للسيرة النبوية ، ويتضمن المخطوطات ذات الأرقام العامة (١٨٥٤ــ١٩٣٦) .

وفيها مخطوطات مثل عيون الأثر في المغازي ، والشمائل والسير لليَعْمُري ، ونظم السيرة لابن الجوزي ، والخصائص الكبرى للسيوطي ، ومختصر السيرة الحلبية ، والسيرة الحلبية ، والروض الأُنف ، والمواهب اللدنية للقَسْطَلّاني ، وشرح الشمائل النبوية للمناوي

كما خصص الفهرس الخطي قسماً للتراجم والرجال ،

منها أسماء الضعفاء للعقيلي. برقم ١١٥٣، وأسماء الضعفاء لأبي الفرج الجوزي برقم ١١٥٤، والكامل في معرفة الضعفاء لابن عدي، وتهذيب الكمال للمزي، والكمال في أسماء الرجال للمقدسي، وميزان الاعتدال للذهبي، وعدد من نسخ الإصابة لابن حجر رقم ١١٧٥ ــ ١١٨٥.

ويضاف إلى ذلك مجاميع في التاريخ والسيرة التي ذكرت في فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع (١/ ٤٧٤، ٢/ ٤٢٤). ويضاف أيضاً مخطوطات السيرة النبوية في المكتبة الأحمدية بحلب، والتي نقلت إلى مكتبة الأسد بدمشق.



الفصل السابع

علم التصوف



تعريف التصوف

عرّف السيوطي التصوف بأنه «تجريد القلب لله تعالى، واحتقاره ما سواه»، ثم بيّن السيوطي أنه عرف التصوف، ولم يعرف علم التصوف «لأن صاحبه أحوج إلى حده منه إلى حد علمه لعدم اعتنائه بذلك، الذي هو شأن المدققين في الظواهر»[1] بينما التصوف يتعلق بالداخل والباطن.

وعرف حاجي خليفة علم التصوف بأنه «علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعادتهم، والأمور العارضة لهم في درجاتهم، بقدر الطاقة البشرية»[2].

(١) الدراية ص١٩٢.

(٢) كشف الظنون ١/٢٨٩، تاريخ الأدب العربي ٤/٥٣، ومابعدها.

وعلم التصوف من العلوم الحادثة في الإسلام، وهو من العلوم الشائعة والمنتشرة في العالم الإسلامي، ولكن أهميته خلال الحقب التاريخية الماضية أكثر من عصرنا الحاضر، كما أن أثره العملي والتطبيقي في حياة الأفراد وسلوكهم أكثر من حقائقه العلمية، وقواعده الكلية، ومبادئه النظرية.

وقال بعض العلماء: إن الصوفية مشتق من الصَّفا، أو من الصُّفة، أو من أهل الصُّفة، أو من الصوف لأنهم كانوا في مبدأ أمرهم يلبسون الصوف، ويختصون به لمخالفة سائر الناس في لبس فاخر الثياب، وإقبال المتصوفة إلى الزهد والانفراد عن الخلق، والظاهر أن هذا الاشتقاق بعيد، لذلك قال القشيري: «ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس»(٣).

وقد كان للصوفية والتصوف والمتصوفة، أو ما يعرف بالطريقة، شأن في التاريخ الإسلامي، كما كان لها دور بارز في الدعوة الإسلامية، وانتشار الإسلام في بعض القارات والبلاد، كالطريقة السنوسية في إفريقيا، والطرق المختلفة في جنوب السودان

(٣) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٦٧، التعرف لمذهب أهل التصوف ص٥.

وغرب إفريقيا، كما كان للتصوف ونظرياته ومبادئه اهتمام خاص لدى بعض المستشرقين وعلماء الغرب.

ولا يزال للتصوف أثرٌ واضحٌ في كثير من البلاد الإسلامية، كما يعتبر صورة مشرقة في نظر بعض المسلمين لنشر الإسلام اليوم، ودخول بعض الغربيين، عن طريقه إلى الإسلام(٤)، لأنه يغطي زوايا حساسة ومهمة في حياة الأفراد، ويلبي الخواء الروحي والنفسي الذي يعيشه الغربي في حياته الفكرية، وحضارته المادية.

والواقع أن التصوف يهدف إلى تهذيب النفس، وترقيق القلب، وتنمية المراقبة الذاتية لله تعالى، والمحاسبة الداخلية للسلوك، ليبقى المسلم ملتزماً بأحكام الشرع، ومنصرفاً في أعماله وتصرفاته إلى مرضاة الله تعالى، والتزام الجادة القويمة في الشرع، وإخلاص النية والقصد في الأعمال، والبعد عن الرياء والمعاصي وارتكاب المناهي، لذلك عرف حاجي خليفة علم التصوف بعبارته السابقة، ورجح السيوطي تعريف التصوف دون العلم.

(٤) انظر مقدمة محمد رياض المالح لفهرس مخطوطات الظاهرية، التصوف ١/٦ عن مكانة التصوف.

نشأة التصوف وتطوره

يختلف التصوف عن بقية العلوم في نشأته وتطوره، وذلك أنه لم يُعرف نهائياً بهذا الاسم وبهذا العلم في القرن الأول، وعرف باسم الزهد والعبادة في القرن الثاني والثالث الهجري، وأخذ حدوده وأبعاده في نهاية القرن الثالث، وظهر فيه التطرف والإفراط بعد ذلك، ودخل حيز الفلسفة، ثم بدأ يتراجع ويقترن بالأخلاق والتربية في عصرنا الحاضر، هذا بشكل مجمل، وإليك التفصيل.

لم يُعرف علم التصوف في العهد النبوي ولا في العهد الراشدي، كما لم يُعرف في العصر الأموي، ولا في مطلع الخلافة العباسية، وإنما بدأت معالمه في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري. وأول من سُمّي بالصوفي أبو هاشم الصوفي المتوفي سنة ١٥٠ هـ.

وحدد ذلك الإمام القشيري فقال: «إعلموا أن المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة رسول الله عليه الصلاة والسلام، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم الصحابة، ولما أدركهم أهل العصر الثاني

سُمّي من صحب الصحابة **بالتابعين**، ثم اختلف الناس، وتباينت المراتب فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين **الزهاد والعباد**، ثم ظهرت البدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادَّعَوا أن فيهم زهاداً، فانفرد خواص أهل السنة، المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم التصوف، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة(٥).

وهذا نص ممتاز في التأريخ للصوفية، وأنه لم يكن لهم وجود في العهود الأولى، لكن معانيها الحقة، ومقاصدها العامة، من أهداف الشريعة، ومارسها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وكثير من التابعين. وهذا ما يحتج به علماء الصوفية ومؤلفوهم، ويثبتونه في كتبهم ومصنفاتهم، وهذا ما أكده أبو عبد الرحمن السُلمي ووضَّحه في مقدمة كتابه «طبقات الصوفية» فقال: «وقد ذكرت في (كتاب الزهد) من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، قرناً فقرناً، وطبقة فطبقة، إلى أن بلغت النوبة إلى أرباب الأحوال، المتكلمين على لسان التفريد، وحقائق التوحيد،

---

(٥) - الرسالة القشيرية ص٧، وانظر كشف الظنون ١/١٩٠.

واستعمال طرق التجريد، فأحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتاباً أسميه طبقات الصوفية، أجعله على خمس طبقات، من أئمة القوم، ومشايخهم، وعلمائهم»[٦]. وأول شخص ذكره من الطبقة الأولى الفُضَيْل بن عياض المتوفى سنة ١٨٧ هـ[٧].

وكان الزهد هو البذرة الأولى للتصوف، وظهر الزهد منذ مطلع القرن الثاني الهجري، وصنف فيه كبار العلماء، وعدَّ المتصوفة هذه الكتب أصولاً، ومنطلقات لهم. ويعتبر الحسن البصري (١١٠ هـ) أهم رواد المتصوفة، كما تُعتبر كتبه من أوائل المصنفات التي تتضمن عبارات كثيرة، وصيغاً متعددة تحث على الزهد[٨]، وكثيراً ما يُجمع بين الكلمتين، فيقال: الزهد والتصوف، وقد يطلق الزهد ويراد به التصوف، والعكس بالعكس.

كما كانت مبادىء التصوف ترد أيضاً تحت عنوان المواعظ والخطب والقصص والوصايا والمسائل.

---

(٦) طبقات الصوفية ص٣.

(٧) طبقات الصوفية ص٦.

(٨) تاريخ التراث العربي ٩١/٤/١.

ثم جاءت كتب الزهد التي وصلت إلينا، وأقدمها كتاب الزهد لثابت بن دينار الكوفي (١٥٠ هـ)، وهو محدث شيعي ومفسر وفقيه. ثم كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك (١٨١ هـ)، وكتاب الزهد للإمام أحمد بن حنبل (٢٤١ هـ)، ثم تجمعت أكثر الأقوال في الزهد في كتاب «حيلة الأولياء» لأبي نعيم الأصفهاني (٤٣٠ هـ)[٩].

وظهر في هذه الفترة كبار الزهاد، واشتهر منهم محمد بن سيرين (١١٠ هـ)، وأبو حازم سلمة بن دينار المخزومي (١٤٠ هـ)، والحسن البصري (١١٠ هـ)، وسابق بن عبد الله البربري (توفي في الربع الأول من القرن الثاني الهجري)، وعبد الله ابن المبارك (١٨١ هـ)، والمعافى بن عمران (١٨٥ هـ)، والفُضَيْل ابن عياض (١٨٧ هـ)، ومعروف الكرخي (٢٠٠ هـ)، وبشر بن الحارث الحافي (٢٢٧ هـ)، والحارث بن أسد المحاسبي (٢٤٣ هـ) وهو من أشهر أعلام التصوف، وله كتب كثيرة في هذا الخصوص. ومنهم أبو زيد البَسْطامي (٢٦١ هـ)، وأبو بكر

(٩) تاريخ التراث العربي ١/٤/٩٣، ١٠٥.

الورَّاق (٢٨٠ هـ)، وسهل بن عبد الله التُّستري (٢٨٣ هـ)، وأبو القاسم الجُنَيْد بن محمد (٢٩٨ هـ)، وغيرهم.

وكتب كثير منهم مصنفات وكتباً ورسائل في الزهد، ولهم عبارات مأثورة. وكانوا يمارسون التربية الروحية، ويوجهون الناس إلى الورع والتقوى، وتصدر عنهم المواعظ والحكم التي تنبع من الإسلام وتتفق ومقاصده وتوجيهاته[١٠].

وفي القرن الثالث الهجري والقرن الرابع تزاوجت العلوم الإسلامية بالثقافات الأجنبية، وترجمت أكثر الكتب اليونانية والفارسية والهندية، وتأثر بعض الناس بالفلسفات المتعددة والأفكار الدينية الأخرى، وخاصة تعاليم الإشراقيين من الحكماء الإلهيين والزهد الهندي. وتسربت كثير من اصطلاحات كتب حكمة الإشراق إلى الزهاد، ودخلت كتب الزهد والتصوف، وصدرت عن لسان عدد منهم كالحلاج الحسين بن منصور، الذي جاب العالم الإسلامي ووصل إلى الهند، واتصل بالقرامطة، ودرس الفلسفة اليونانية والعلوم الطبيعية، وتحول التوحيد عنده إلى

(١٠) انظر تاريخ التراث العربي ٩٧/٤/١، ١٠٥، ومابعدها، طبقات الصوفية ص٦، وما بعدها.

« إتحاد » و « وصول » ، وأصبح الارتباط بالله حلولاً للذات الإلهية ، وبدأ يجهر بآرائه وفلسفته ويفتن بها الناس ، مما أدى به إلى السجن ثم المحاكمة ثم الحكم عليه بالإعدام (٣٠٩ هـ) ، وقام أتباعه ومريدوه بمتابعة طريقه[١١] .

وهكذا بدأ المذهب الصوفي يتبلور ، ويتخذ هيكله الجديد ، وصار علم التصوف لمجاهدة النفس ومحاسبتها والترقي بها وتفسير حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح والعرش والكرسي ، علماً قائماً بذاته ، وله طرق سلوكية للتربية ، كما أن له اصطلاحاته الخاصة الجديدة التي تلتبس على الإنسان العادي ، ويفهم منها ما يتنافى مع الدين والإسلام . واختلفت الاتجاهات الصوفية ، وتعددت التفاسير لمصطلحاتهم ، بمعانيها الباطنية ، وظهرت الطرق الصوفية المتشعبة . قال ابن خلدون : « صار علم التصوف في الملة علماً مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط »[١٢] .

---

(١١) انظر تاريخ التراث العربي ١٣٧/٤/١ .

(١٢) مقدمة ابن خلدون ص٤٦٨ ، ٤٦٩ ، وانظر اصطلاحات الصوفية ومدلولاتها في (الرسالة القشيرية ص ٣١ ، وما بعدها) .

وتسرب بعض المشبوهين إلى المتصوفة، وغالى فريق منهم نظرياً بالعلم، وعملياً بالطرائق السلوكية، مما حمل الكثيرين على الوقوف بوجههم، والرد عليهم، قال ابن خلدون: «وأهل الفتيا بين منكر عليهم، ومسلم لهم»[١٣].

التصوف في حياة المسلمين

كان علم التصوف أكثر العلوم جدلاً بين المسلمين، وتختلف فيه وجهات النظر إلى أبعد حد، فيرى فريق أن التصوف جوهر الإسلام، وأنه ذروة الكمال في الإيمان والسلوك، والتربية والتهذيب، ويحقق الصلة الحقيقية بين الخالق والمخلوق، وبين العبد وربه، وأن أئمة الصوفية هم الأولياء الأصفياء، وهم العلماء والأقطاب، وهم ورثة الأنبياء، وخلفاء الله في الأرض، ويقبلون منهم كل شيء، ويصدقون كل ما يروى عنهم، ولا يقف هؤلاء عند هذا الحد بل يرون أن الإسلام شريعة وحقيقة، وهم أهل الحقائق، وينعون على غيرهم بالأخذ بالظاهر، والجمود، والبعد عن روح الإسلام، ويؤيد موقف الصوفية قديماً وحديثاً ما يرونه من ردة الفعل

---

(١٣) مقدمة ابن خلدون ص ٤٧٠.

عن المادية القديمة والحديثة، وعطش الماديين ــ عند الإفلاس والنكبات والفراغ ــ إلى التربية الروحية، والزهد الشديد، وقبول آراء المتصوفة، والعكوف في العزلة، والدخول عن طريقها إلى الإسلام.

بينما يرى آخرون أن التصوف دخيل على الإسلام والمسلمين، وأنه من البدع الخطيرة التي تسربت إلى المجتمع لتفت في عضده، وتشل حركته، وتشوه تعاليمه، وتجمد نشاطه، ليقبع الصوفي في خلوته، ويلغي عقله وتفكيره، وينقاد المريد لشيخه ومربيه، وأن التصوف كلمة مطلقة عن الضوابط والقيود، ويدخل عن طريقها أصحاب البدع والأهواء، والمذاهب الضالة والنحل الفاسدة، والفلسفات القديمة إلى الإسلام، وهو ما فعله كثير من الزنادقة والإباحيون [١٤]، فبدلوا نعمة الإسلام والإيمان كفراً، وأحلوا قومهم دار البوار، وأدخلوا المصطلحات الغريبة إلى المسلمين، مما لا دليل عليها، ولا أصل لها، كما تسرب الزهد الهندي، والمذاهب الإباحية إلى المسلمين باسم التصوف، وغالى

(١٤) انظر محاضرة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي عن العلامة محمد إقبال، في نداء إقبال ص١٤٧، وما بعدها.

فريق بأقواله وسلوكه غلواً شديداً أدى إلى نبذه في الحياة والمجتمع، إلى أن انقرض معظم المغالين.

والحقيقة أن التصوف المغالي لا يقبل بحال من الأحوال، وأن المبادىء الغريبة عن الدين يجب تركها والتخلي عنها، وأنه لا يقبل مطلقاً الأخذ بظواهر المصطلحات والعبارات والنظريات التي يقولونها، وأن لا يجوز التطرف في تربية النفس والروح على حساب العقل والتفكير من جهة، وعلى حساب النصوص الشرعية والأحكام الدينية من جهة أخرى، أو على حساب الجسد ومطالبه من جهة ثالثة.

أما تربية الروح، وتهذيب النفس، ومراقبة الله، وعدم التعلق بالدنيا، فهي من الإسلام، سواء سميت عبادة أم زهداً، أم ورعاً، أم تصوفاً، والأولى في ذلك الاقتصار على ما ورد في القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والاعتقاد الجازم بفهمها على ظاهرها، والقيام بما جاء من العبادات والأذكار، والتحرز قطعاً ويقيناً عما تسرب من الملل والنحل الأخرى، ولذلك يؤكد المعتدلون أنه يجب

الجمع بين الفقه وعلوم الشريعة، وبين التربية والسلوك، وإلا حصل الخلل، ووقع الاضطراب والشذوذ(١٥).

كتب التصوف

إن كتب التصوف متنوعة، وبينها اختلاف كبير في المنهج والأسلوب والاصطلاح، وبعضها لا غبار عليه، كتبه كبار علماء الأمة وفقهائها، وكثير منها أغرق في الاصطلاحات التي تحمل مدلولين، ظاهر وباطن مما يثير الشك فيها والارتياب، أو يوجب التسليم والوقوف على الحياد، وعدم الأخذ بها، أو تكفير أصحابها، أو اعتناق ما فيها، كما أن كتب التصوف صارت تشمل ما كتب عن الزهد والورع، كما تشمل بعض ما كتب في الأخلاق والتربية.

وسوف نذكر بعض الكتب المشهورة بالإضافة إلى الكتب التي سبق ذكرها.

١ ـ الرسالة القشيرية، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (٤٦٥ هـ).

---

(١٥) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص٥٨.

٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف، لتاج الإسلام أبي بكر محمد ابن إسحاق الكلاباذي الحنفي (٣٨٠ هـ).

٣ ــ عوارف المعارف للسَهْرَوردي.

٤ ــ إحياء علوم الدين للغزالي.

٥ ــ ياقوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب محمد بن علي المكي (٣٨٦ هـ).

٦ ــ كتب الحكيم الترمذي أبي عبد الله محمد بن علي (٣١٨ هـ).

٧ ــ منهاج العارفين لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السُّلمي (٤١٢ هـ)، وله كتاب طبقات الصوفية، وكتاب الزهد، وكتاب جوامع آداب الصوفية وسلوك العارفين وغيرها.

٨ ــ فصوص الحكم للشيخ محيي الدين محمد بن علي، المعروف بابن عربي (٦٣٨ هـ).

٩ ــ الحِكَم لأحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري (٧٠٩ هـ).

مخطوطات التصوف في مكتبة الأسد

تحظى مخطوطات التصوف بنصيب وافر في المكتبة الظاهرية، وهي ذات أهمية كبرى، ويعلل الأستاذ محمد رياض المالح ذلك فيقول: «ولعل تفسير ذلك يعود إلى أن الدمشقيين، ومن نزل بها، قد اعتنوا في العصور المتقدمة بهذا الفن، أمثال الغزالي (٥٠٥ هـ)، ومحيي الدين بن عربي (٦٣٨ هـ)، وعز الدين بن عبد السلام (٦٦٠ هـ)، والنووي (٦٧٦ هـ)، وعفيف الدين التلمساني (٦٩٠ هـ)، وأرسلان الدمشقي (٦٩٩ هـ)، وعبد الله بن أسعد اليافعي (٧٦٨ هـ)، والتقي السبكي (٧٥٦ هـ)، والتاج السبكي (٧٧٠ هـ)، ومجد الدين الفيروزأبادي صاحب القاموس (٨١٧ هـ)، ورضي الدين الغزي (٩٣٥ هـ)، والبدر الغزي (٩٨٤ هـ)، والنجم الغزي (١٠٦١ هـ)، وعبد الغني النابلسي (١١٤٣ هـ)، وخالد النقشبندي (١٢٤٣ هـ)، وغيرهم كثير».

وقام الأستاذ المالح بوضع فهرس مخطوطات التصوف، وضم فيه الكتب والرسائل المتنوعة عن الزهد والتصوف وما يتعلق

بالتوحيد في المراقبة وغيرها، وجاء الفهرس في ثلاثة مجلدات كبيرة، طبعها مجمع اللغة العربية بدمشق، الجزء الأول ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م، والجزء الثاني (ز ـ م) طبع عام ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨٠ م، والجزء الثالث وأوله حرف النون إلى الأخير، وطبع عام ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م. وفي آخره فهارس الكتاب لعناوين الكتب والمؤلفين والنساخ (١٨٠ ـ ٥٤٤) ثم الاستدراك، والفهرس مرتب ترتيباً أبجدياً.

ويضاف إلى ذلك مجموعة من رسائل التصوف صنفت في (فهرس مخطوطات الظاهرية ـ مجاميع (١ / ٤٦٣ ـ ٤٧٢) (٢ / ٤٤٠ ـ ٤٤٢).

كما يضاف إليها مخطوطات التصوف التي وردت إلى مكتبة الأسد من المكتبة الأحمدية بحلب، والمذكورة في الفهرس الخطي الكبير.

الفصل الثامن

علم الفرائض



نظراً لأهمية علم الفقه، واتساع أحكامه، فقد ظهرت له فروع كثيرة، أخذت مصطلحاً مستقلاً، واهتم الناس بها، وصنفوا بها مؤلفات مستقلة، وصارت علوماً ذات استقلال ذاتي.

فمن فروع الفقه علم الشُّروط والسِّجلات، وعلم القَضَاء، وعلم معرفة حكم الشرائع، وعلم الفتاوى، وعلم الفرائض.

وأشهر هذه العلوم، وأكثرها استقلالاً علم الفرائض، لذلك نخصه بالتعريف والبيان.

تعريف علم الفرائض

الفرائض لغة جمع فريضة، بمعنى مفروضة، مشتقة من الفَرْض وهو القطع والتقدير.

والفرائض اصطلاحاً: علم يبحث عن أحوال قسمة التركة على مستحقيها على فروض مقدرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله وإجماع الأمة[1].

وسُمي هذا العلم علم الفرائض، مع أنه يشتمل على التعصيب وغيره، تغليباً للفرض لتقديره، أو لأنهم كانوا يقولون في الزمن الأول: «القول في فريضة كذا»، فسمي علم الفرائض فيما بعد. وقال العيني: سُمِّي هذا العلم فرائض لأن الله تعالى قدره بنفسه، ولم يفوض تقديره إلى ملك مقرب، ولا إلى نبي مرسل، وبيّن نصيب كل واحد من الورثة، بخلاف سائر الأحكام فالنصوص فيها مجملة[2].

وعلم الفرائض أحد فروع الفقه، كما سبق، ولا يوجد كتاب فقهي غالباً إلا ويتضمن أحكام الله تعالى في الفرائض، لكن نظراً لأهميته وحاجة كل إنسان إليه أفرده بعض العلماء

---

(١) مفتاح السعادة ٢/٦٠٠، وانظر الدراية ص٩٢، النقاية ص ٢٧١، كشف الظنون ٢/١٧٩.

(٢) العذب الفائض ١/٧، وانظر كلام ابن خلدون في مقدمته ص٤٥٣، في بيان المقصود بالفرائض في الحديث الشريف «تعلّموا الفرائض».

بكتب مستقلة، وكان يدرس بشكل منفرد فصار علماً مستقلاً، ويسمى أيضاً علم المواريث، ويدرس الآن علم الفرائض مع أحكام الزواج والطلاق بمقرر «الأحوال الشخصية» وينظمها قانون الأحوال الشخصية.

وموضوع علم الفرائض **التركة** التي يخلفها الإنسان بعد وفاته، **والورثة** الذين يستحقون هذه التركة، وكيفية **قسمة التركة** وتوزيعها عليهم، لذلك يعتمد علم الفرائض على علم الحساب والجبر والمقابلة في فرض المسائل وحلها، وخاصة في حالة المناسخة، وهي أن يموت شخص، وقبل توزيع التركة على ورثته يموت أحد الورثة، أو أكثر، وفي هذه الحالة يجب تصحيح المسألة حتى يصل أصحاب الحق في المسألتين إلى فروضهم ونصيبهم كاملاً.

وتظهر أهمية علم الفرائض في تنظيمه الأمور المالية للإنسان بعد وفاته، ويحدد انتقال التركة إلى مستحقيها بنظام محدد، وقواعد معينة وجزئيات منصوصة، ومقدرة شرعاً بحكمة وعدالة ومنطقية في التوزيع بحسب القرابة والحاجة.

ويقال للعالم بالفرائض فرضي، وفارض، وفريض، كعالم وعليم، وأجاز بعضهم تسميته بالفرائضي نسبة للجمع استثناء[٣].

وعلم الفرائض أحد الأسباب الرئيسية لظهور علم الحساب عند العرب والمسلمين، مع الاهتمام به، والعناية فيه، ثم التوسع والتأليف والاختراع.

نشأة علم الفرائض

وردت معظم أحكام الفرائض نصاً في القرآن الكريم والسنة النبوية، فذكر القرآن الكريم جزئيات الفرائض وحصة كل شخص في ثلاث آيات في سورة النساء (الآيات ١١، ١٢، ١٧٦) واتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنص على العصبات، فقال عليه الصلاة والسلام: «ألحقوا الفرائض بأهلها، فيما بقي فلأولى رجل ذكر»[٤]. وطبّق رسول الله صلى الله عليه

---

(٣) انظر العذب الفائض ١/٧.

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد عن ابن عباس مرفوعاً.

وسلم هذا التوزيع في حياته بين الورثة ولذلك يعتبر علم الفرائض قد ولد كاملاً منذ العهد النبوي.

ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تعلمه وتعليمه، وأثنى على سيدنا زيد بن ثابت بأنه أشهر الصحابة بعلم الفرائض، فقال: «أفرض أمتي زيد بن ثابت»[٥]. ومارس الصحابة علم الفرائض عملياً وتعليماً وإفتاءً وقضاءً.

ثم انتقل هذا العلم إلى التابعين، واشتهر في تعلمه وتطبيقه عدد منهم كسعيد بن جبير وعَبِيدة السَّلْماني والشعبي وفقهاء المدينة السبعة، ثم ظهر بعدهم قَبِيصة بن ذُؤَيْب، وأبو الزناد، ثم صنف فيه ابن أبي ليلى وابن شبرمة، ثم تناوله أئمة المذاهب وتلامذتهم وأصحابهم بالتأليف والتدوين مع كتب الفقه، وأفرده بعض أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي بالتأليف مثل كتاب أبي ثور والكرابيسي، وكتاب رواه الربيع عن الشافعي[٦]، ثم تتابع فيه التأليف والتصنيف، مع اختلاف الآراء والمذاهب فيه، ولذلك

(٥) رواه الحاكم عن أنس مرفوعاً.

(٦) انظر كشف الظنون ٢/١٨٠.

ظهرت كتب علم الفرائض غالباً على حسب المذاهب الفقهية مع المقارنة مع بقية المذاهب، وسرد آراء الصحابة وغيرهم.

كتب علم الفرائض

صنف العلماء والفقهاء في كل مذهب كتباً كثيرة طوال الحقبة التاريخية السابقة في الفرائض واشتهر بعضها، ونظم كثيرون علم الفرائض وأحكامه[٧]، ومنها:

١ ــ الفرائض لأبي العباس بن سُرَيْج الشافعي (٣٠٦ هـ).
٢ ــ الفرائض لمحمد بن نصر المروزي (٢٩٤ هـ).
٣ ــ الفرائض لابن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبي المالكي (٤٦٣ هـ).
٤ ــ الفرائض لأبي القاسم الحوفي أحمد بن محمد بن خلف الأشبيلي المالكي (٥٨٠ هـ)، واختصرها محمد بن محمد بن عرفة (٨٠٣ هـ)، وتسمى فرائض الحوفي.

(٧) ذكر ابن خلدون في مقدمته (ص ٤٥١) أهم كتب الفرائض عند المالكية، ثم قال: «وأما الشافعية والحنفية والحنابلة فلهم تآليف كثيرة، وأعمال عظيمة صعبة، شاهدة لهم باتساع الباع في الفقه والحساب».

٥ ــ فرائض الرحبية، وهي أرجوزة اسمها «بغية الباحث» في مئة وخمسة وسبعين بيتاً، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الرحبي، المعروف بابن موفق الدين، شرحها محمد بن محمد بن أحمد، المعروف بسبط المارديني من علماء القرن التاسع، وعليها حاشية للشيخ محمد بن عمر البقري، كما شرحها السيوطي (٩١١ هـ).

٦ ــ فرائض السَّجَاوَنْدي، سراج الدين محمد بن محمد بنَ عبد الرشيد الحنفي، وتسمى «الفرائض السراجية» ولها شروح كثيرة جداً، وعليها حواشٍ متعددة، منها شرح البابرتي (٧٨٦ هـ) والسيد الشريف الجرجاني (٨١٤ هـ).

٧ ــ العذب الفائض شرح عمدة الفارض للشيخ ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم، والأصل «عمدة كل فارض» منظومة في علم الفرائض والوصايا، ومعروفة بألفية الفرائض للشيخ صالح بن حسن الأزهري الحنبلي من علماء القرن الثاني عشر الهجري[٨].

٨ ــ ومن علماء الفرائض في الفقه الشافعي أبو الحسين بن اللبان

---

(٨) انظر كشف الظنون ٢/١٨٠، مفتاح السعادة ٢/٦٠٠.

الفرضي البصري، واسمه محمد بن عبد الله بن الحسن بن اللبان، كان إماماً في الفقه والفرائض، صنف فيه كتباً كثيرة، وليس لأحد مثلها، وعنه أخذ الناس الفرائض، وكان يقول: ليس في الأرض فرضي إلا من أصحابي أو أصحاب أصحابي.

ومنهم أبو الحسن محمد بن يحيى بن سراقة الفقيه الفرضي الذي أخذ الفرائض عن ابن اللبان. ومنهم أبو الحسين أحمد بن محمد بن يوسف الكازروني الذي لم يكن في زمانه أفرض منه ولا أحسن. ومنهم أبو الحسن الشيرجي الفرضي الحاسب[٩].

ويضاف إلى ذلك كثير من الكتب المعاصرة، وشروح المواريث وقوانين الأحوال الشخصية.

مخطوطات علم الفرائض بمكتبة الأسد

إن علم الفرائض محصور بالعلماء ولا يعرفه العوام وعامة الناس، وإنما يرجعون فيه إلى القضاة والمفتين والعلماء الذين يعتمدون على المراجع والمصادر، وإن مخطوطات علم الفرائض

(٩) طبقات الفقهاء ص ١٢٠.

محصورة بالظاهرية، وأفردت عن كتب الفقه، وكتبت في الفهرس الخطي للمكتبة الظاهرية، وتبلغ تسعاً وخمسين مخطوطة، تحمل الأرقام العامة (٣٠٣٣ ــ ٣٠٧٤). ويضاف إليها عدة رسائل في فهرس مخطوطات الظاهرية ــ مجاميع (١/٤٥٩، ٢/٤١٦) كما يضاف إليها مخطوطات المكتبة الأحمدية.



الفصل التاسع

علم الخلاف



تعريف علم الخلاف

عرّف حاجي خليفة علم الخلاف فقال: «وهو علم يُعرف به كيفيةُ إيراد الحجج الشرعية، ودفع الشبهة وقوادح الأدلة الخلافية بإيراد البراهين القطعية» ثم قال: «وهو الجدل الذي هو قسم من المنطق إلا أنه خُصَّ بالمقاصد الدينية[1]».

ويظهر من هذا أن علم الخلاف هو العلم الذي يتعلق بالأدلة والأصول التي يأخذ منها الأئمة أحكامهم، ويبحث عن وجوه الاستنباط من الأدلة الإجمالية والتفصيلية، ويقيم الأدلة والبراهين والحجج الشرعية لاجتهاد الأئمة الفقهاء.

(١) كشف الظنون ١/٤٧٢.

ويعتمد علم الخلاف على علم الجدل ومبادئه، ويستمد أصوله من العلوم العربية والشرعية، وخاصة أصول الفقه، لذلك اعتبره بعض العلماء ملحقاً بأصول الفقه[٢]، أو فرعاً من فروعه[٣].

ويهدف عالم الخلاف إلى تأييد مذهب الأئمة بإيراد الحجج والبراهين والأدلة لأقوالهم، وبيان القواعد والأصول التي اعتمدوا عليها في الاجتهاد والاستنباط، ودفع الشكوك التي ترد على المذهب، ورد الشبه التي تثار عليه، وإيقاعها في المذهب المخالف[٤]. وهذا يقربه من علم الفقه وكتب الفقه في رأيي.

نشأة علم الخلاف

وُجد علم الخلاف منذ نهاية القرن الأول الهجري، وطوال

(٢) منهم الإمام فخر الدين الرازي في كتابه «المعالم» وغيره، انظر مفتاح السعادة ٣٠٨/١، ٥٩٩/٢، تأسيس النظر ص٥، الإمام الماوردي ص٣٦، كشف الظنون ٤٧٢/١، مقدمة ابن خلدون ص٤٥٦.

(٣) عدّد طاش كبري زاده فروع علم أصول الفقه، وهي علم النظر، وعلم المناظرة، وعلم الجدل، وعلم الخلاف. (مفتاح السعادة ٥٩٨/٢ــ٥٩٩).

(٤) انظر مفتاح السعادة ٣٠٨/١.

القرن الثاني، عندما ظهر الخلاف بين مدرستي الرأي والحديث، وثار الجدل بينهم، وانبرى كل فريق للدفاع عن رأيه وتأييده بالأدلة والحجج، وبيان مأخذه ثم الطعن والتشكيك بالمدرسة الأخرى، والنيل من علمائها والقائمين عليها، وانتهى هذا الخلاف بظهور «الرسالة» للإمام الشافعي، فقرب بين المدرستين وجمع بينهما.

وأزال الخلاف الحاد بين العلماء، كما سبق في علم أصول الفقه، لكنه لم يقضِ على الخلاف بين الأئمة والفقهاء، فتجدد هذا الخلاف بين أتباع الأئمة والمذاهب، وخاصة في القرون الثلاثة التالية الثالث والرابع والخامس، وهو عصر نضج المذاهب الفقهية وثباتها واستقرارها. فكانت هذه المذاهب في صراع البقاء على الوجود أو الاندثار والموت. واندفع العلماء في كل مذهب يؤيدون أقواله، ويستدلون لأحكامه، ويدعمونه بالأدلة والحجج والبراهين، وينافحون عن المذهب وإمام المذهب، ويدللون على منهجه في الاجتهاد، وقواعده في الاستنباط، ومنطقه في الاستدلال، ويبعدون كل شبهة أو شك أو ريب في أصوله أو أحكامه أو قواعده، أو اجتهاده، ويرغبون الناس بتقليده، ويدعون إلى مذهبه، ويطعنون في المذاهب المخالفة، ويشككون في أدلتهم ومناهجهم وأحكامهم،

وذلك بالمناظرات، وحلقات التدريس وكتب الفقه والأصول.

وكانت النتيجة ثبوت قدم المذاهب التي توفر لها الأتباع والدعاة والعلماء والطلاب، وانقراض المذاهب الأخرى التي فقدت ذلك، وصارت دراسة المذاهب الباقية وفهم نصوص أئمتها بمثابة دراسة الأدلة الأصلية التي اعتمدها الأئمة والمجتهدون.

ويلخص ذلك ابن خلدون فيقول في علم الخلاف: «فاعلم أن هذا الفقه المستنبط من الأدلة الشرعية كثر فيه الخلاف بين المجتهدين ...، خلافاً لا بد من وقوعه، واتسع ذلك في الملة اتساعاً عظيماً، وكان للمقلدين أن يقلدوا من شاؤوا منهم، ثم انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار، وكانوا بمكان من حسن الظن بهم، اقتصر الناس على تقليدهم، ومنعوا تقليد سواهم، فأقيمت هذه المذاهب الأربعة أصول الملة، وأجري الخلاف بين المتمسكين والآخذين بأحكامها فجرى الخلاف في النصوص الشرعية، والأصول الفقهية، وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل مذهب إمامه تجري على أصول صحيحة وطرائق قويمة، يحتج بها كل على مذهبه الذي قلده وتمسك به، وأجريت في مسائل الشريعة كلها، وفي كل باب من أبواب الفقه ...، وكان في هذه المناظرات بيان

مآخذ هؤلاء الأئمة، ومثارات اختلافهم، ومواقع اجتهادهم. كان هذا الصنف من العلم يسمى **بالخلافيات**، ولا بدَّ لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام، كما يحتاج إليها المجتهد، إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط، وصاحب الخلافيات يحتاج إليها لحفظ المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بأدلته»[٥].

كتب علم الخلاف

بدأت المؤلفات في علم الخلاف تظهر في القرن الثاني الهجري، لكنها كانت تحت مظلة الفقه، فمن ذلك كتاب اختلاف أبي حنيفة وابن أبي ليلى، وكتاب الرد على سِيَر الأوزاعي، وكتاب اختلاف الشافعي مع محمد بن الحسن، وكتاب اختلاف الشافعي مع مالك، وهذه الكتب كلها للإمام الشافعي، كتبها بنفسه وألحقها في آخر كتابه «الأم» المطبوع[٦].

---

(٥) مقدمة ابن خلدون ص٤٥٦، وانظر مفتاح السعادة ٣٠٦/١، ٥٩٩/٢، تأسيس النظر ص٣، المنخول ص٤٨٩، وفيات الأعيان ٢٥١/٢.

(٦) الأم ٨٧/٧، وما بعدها.

ثم ظهرت كتب مستقلة لكنها في إطار الفقه أيضاً، مثل كتاب «اختلاف الفقهاء» للطحاوي (٣٢١ هـ)، وكتاب «اختلاف الفقهاء» للطبري (٣١٠ هـ) وغيرها.

ثم جاء الإمام أبو زيد الدبوسي الحنفي (٤٣٠ هـ) فكان أول من وضع علم الخلاف على أصوله وقواعده، وأبرزه للوجود كعلم مستقل، وكان يضرب به المثل في النظر واستخراج المسائل والرأي والحجج، وألف كتابه «تأسيس النظر» وهو من البواكير الأولى لعلم الخلاف كما صنف «التعليقة» في الخلاف[٧].

ثم تتابع التصنيف في علم الخلاف،. وقام العلماء من مختلف المذاهب بالكتابة فيه، وصنف فيه عدد من علماء المذاهب الأربعة، منها:

١ ــ كتاب النكت، وكتاب تذكرة الخلاف لأبي إسحاق الشيرازي (٤٧٦ هـ).

٢ ــ حلية العلماء في اختلاف الفقهاء لأبي بكر الشاشي، أحمد بن أحمد الشافعي (٥٠٧ هـ)، وكتابه المعروف

---

(٧) مفتاح السعادة ٣٠٧/١، كشف الظنون ٤٧٣/١.

بالمستظهري، ثم صنف «المعتمد» وهو كالشرح للمستظهري[٨].

٣ـ التجريد للقدوري الحنفي (٤٢٨ هـ).

٤ـ منظومة النسفي (٥٣٧ هـ).

٥ـ الطريقة الرضوية، للسرخسي الحنفي (٥٤٤ هـ).

٦ـ مختلف الرواية لعلاء الدين السمرقندي (٥٥٢ هـ).

٧ـ عيون الأدلة لأبي الحسن بن القصار المالكي (٣٩٨ هـ) الذي يقول فيه الشيرازي: «وله كتاب في مسائل الخلاف كبير، لا أعرف لهم كتاباً في الخلاف أحسن منه»[٩].

٨ـ التلقين للقاضي عبد الوهاب المالكي (٤٢٢ هـ)، تلميذ ابن القصار.

٩ـ المآخذ للإمام حجة الإسلام الغزالي (٥٠٥ هـ) والخلافيات للبيهقي (٤٥٨ هـ).

١٠ـ الإشراف على مذاهب الأشراف لابن هُبَيْرة الحنبلي (٥٦٠ هـ).

---

(٨) كشف الظنون ١/٤٥٣.

(٩) طبقات الفقهاء ص١٦٨.

١١ ـ الدُّرة المضيَّة فيما وقع من خلاف بين الشافعية والحنفية، وغنيـة المسترشديـن في الخلاف، والأسالـيب في الخلافيات، ومغيث الخلق في اختيار الأحق، والكافية في الجدل، كلها لإمام الحرمين الجويني (٤٧٨ هـ).

وباختصار فإن شيخ كل مذهب وإمامه في كل عصر تقريباً كان يكتب في الخلاف داعياً لمذهبه، ومدافعاً عنه، ومناظراً علماء المذاهب الأخرى، شفاهاً ومناظرة وكتابة[١٠].

لكن علم الخلاف قد وقف عن السير منذ قرون، ثم زال واندثر في عصرنا الحاضر ولم يبق في التدريس بين العلوم الشرعية، ولا يطلع عليه أحد، ولم يعد يفرده عالم بالتصنيف.

قال طاش كبري زاده «وقد جمع بعض العلماء في علم الخلاف المسائل العشرين، وبعضهم الأربعين، وغير ذلك من الرسائل والتعليقات، لكنه قد ضاع كتبه، وانطمست آثاره، وبطلت معالمه في زماننا هذا ...، وإلى الله المشتكى من زمان صار

---

(١٠) انظر مقدمة تأسيس النظر ص٥، وما بعدها، الإمام الشيرازي ص١٧٩، العقيدة النظامية ص٦٨، مقدمة ابن خلدون ص٤٥٧، كشف الظنون ٤٧٣/١.

الكلام فيه كلاماً بلا أثر، والخلاف خلافاً بلا ثمر، والأصول فضولاً، والمعقول مغفولاً»[11].

لكن ظهر بالمقابل إلى الوجود الفقه المقارن الذي يحل محل علم الخلاف بشكل عام، وذلك بعرض آراء الأئمة والمذاهب والفقهاء في المسألة الفقهية، ثم بيان أدلة كل قول، مع الترجيح أحياناً، وصنفت عدة كتب في هذا المجال، منها الإفصاح لابن هبيرة الحنبلي (٥٦٠ هـ) وبداية المجتهد لابن رشد الفقيه الفيلسوف الحفيد (٥٩٥ هـ) والمغني لابن قدامة الحنبلي (٦٢٠ هـ) والحاوي الكبير للماوردي (٤٥٠ هـ) وبدائع الصنائع للكاساني الحنفي (٥٨٧ هـ)، ثم انتشرت الدراسات المقارنة بين المذاهب في العصر الحاضر تدريساً وبحثاً وتصنيفاً وتشريعاً.

أما مخطوطات علم الخلاف فهي موزعة بين مخطوطات الفقه، وأصول الفقه، ولم تفرد بفهرس أو غيره.

---

(١١) مفتاح السعادة ٣٠٧/١.

أسباب الاختلاف

ونختم الكلام عن علم الخلاف بنبذة مختصرة عن أسباب اختلاف الفقهاء التي قد تعتلج في النفس أحياناً، ويسأل عنها الناس كثيراً، ويثيرها أعداء الإسلام، وأتباع المستشرقين، وأذناب الاستعمار، وأبواق الغزو الفكري، كما يحرك ذلك ويعاديه غير المختصين، وغير العارفين بالموضوع، لأن الإنسان عدو ما يجهل، وينظر الجميع إلى التفرق في الأمة، والخلاف بين أولادها، والنزاع الناشب في صفوفها، والجدل الذي لا طائل تحته، والتعصب المقيت الذي يحجر على العقل، ويبحثون عن السبب، ويتراءى لهم لأول وهلة أن سبب كل ذلك هو اختلاف الأئمة والفقهاء والعلماء الذي جر كل هذه الويلات، ويبادرون للسؤال عن أسباب اختلاف الفقهاء، ويخيل إليهم أن اختلافهم كان نقمة على الأمة، ولذلك أردنا الجواب عن هذه الأسئلة باختصار.

وقبل بيان أسباب الاختلاف يجب أن يعرف القارىء الكريم بعض الحقائق الأولية في الموضوع، وهي أن الاختلاف في التشريع أمر طبيعي وعادي ولا غبار عليه ولا يوجد تشريع في الدنيا يخلو من

ذلك، ولا يوجد علم من العلوم الإنسانية يخلو منه، فالأدباء مختلفون في الكتابة والنقد، والشعراء مختلفون في قرض الشعر وموازينه، وعلماء القانون مختلفون في تفسيره ومضمونه وشرحه، والمحاكم والقضاة يختلفون في تطبيق القانون ولوائحه، وعلماء التاريخ مختلفون في أحداثه ورواياته، وكذلك الأمر في العلوم التطبيقية والأساسية في الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء والصيدلة، وحتى الشخص الواحد يختلف رأيه من حين إلى آخر.

وإن الاختلاف بين الفقهاء في الشريعة منحصر في الفروع الفقهية، مع الاتفاق الكامل على الأصول العامة في العقيدة والتشريع وأركان الإسلام، وأن أكثر الاختلاف ظاهري أو لفظي أو اصطلاحي، ولا مشاحة في الاصطلاح، وأنه لم يقع اختلاف في النصوص القطعية، وأن الاختلاف بين الأئمة يعتمد على أسباب موضوعية وعلمية، وأن الاختلاف في الفروع ــ مع الاتفاق على الأصول ــ هو رحمة بالأمة، وتخفيف عنها، وتوسعة بها، وهذا ثابت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في بيانه عدة أقوال في المسألة الواحدة، وإقراره لحكمين مختلفين في أمر واحد، لبيان

إباحتهما واستوائهما، أو لإباحتهما مع تفضيل أحدهما على الآخر، أو لكون أحدهما رخصة والآخر عزيمة، وغير ذلك.

وإن الاختلاف بين الأئمة كان السبب في تزويد المكتبة الإسلامية بأعظم ثروة فقهية، وأوسع تشريع للأحكام، مما نضاهي به العالم، ونعتز بوجوده، ويتيح للتشريع المرونة والحيوية في تلبية حاجات التقدم، ومتطلبات التطور والعمران، فإن ضاق مجال البحث أمام العلماء، أو هيئة التشريع، في بعض أحكام مذهب ما، وجدوا الشفاء القريب، والدواء الجاهز في المذهب الآخر، فتمتلىء النفس راحة، وتشعر بالثروة الفقهية العظيمة التي خلفها لنا الأئمة والفقهاء والسلف الصالح، دون أن نضطر للاستجداء من التشريعات الأجنبية، أو الوقوف على موائدها وتراثها.

والآن يمكننا تعداد أهم أسباب الاختلاف بين الفقهاء:

١ ـ **الاختلاف في الأمور الجبلية**، وذلك أن الناس، ومنهم الأئمة والعلماء، قد فطروا على قدرات مختلفة، وطبائع متباينة، وأن تركيب النفس البشرية يختلف من فرد إلى

آخر، كما أن الملكات العقلية غير متساوية، لذلك تختلف وجهات النظر بينهم، وينتج الاختلاف في الأحكام التي يستنبطونها.

٢ ـ **الاختلاف في اللغة العربية** التي نزل فيها القرآن الكريم، ونطق بها الحديث الشريف، فالاختلاف بين علماء اللغة في وضع الألفاظ، ودلالتها، وفي الأسلوب والصيغ، والحقيقة والمجاز، والخاص والعام والمشترك والمترادف حتى في معاني الحروف، مما يؤدي إلى الاختلاف في فهم النص ودلالته، وإلى الاختلاف في استنباط الحكم الشرعي.

٣ ـ **اختلاف البيئات والعصور والمصالح**، وذلك أن الشريعة جاءت لتحقيق مصالح الناس في الدنيا والآخرة، فالمصالح الرئيسية والثابتة للناس لا اختلاف فيها، أما المصالح الجزئية والفرعية فإنها تختلف من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى غيره، ومن جماعة إلى أخرى، ولو كانت الأحكام التفصيلية واحدة لأدى ذلك إلى الحرج، وانتفت المصالح، وتوقفت الأعمال، ولحق الناس الضجر والضيق، اللذين يدفعان للتحايل والتهرب من التشريع بمختلف الوسائل، وهذا ما

يريده الفقهاء بقولهم: «إنه اختلاف عصر وزمان، وليس اختلاف حجة وبرهان» ووضعوا القاعدة الفقهية: «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان» لتأكيد صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

٤ ـ **الاختلاف في فهم المراد من النص الظني**، وقد يكون المعنى خافياً، أو محتملاً للتأويل، وهذا متوفر في جميع اللغات والنصوص، وعند جميع الأمم والشعوب، وبين الأفراد والجماعات، فيتعدد المعنى، وتختلف الآراء حول النص الواحد.

٥ ـ **الاختلاف في حجية بعض مصادر التشريع** عند عدم وجود النص، مع الحاجة لبيان الحكم، وتحقيق العدل، وإقامة القسط.

٦ ـ **الاختلاف في علوم الحديث**، مع الاتفاق على حجية السنة في التشريع، كالاعتقاد بضعف الحديث، أو عدم العلم بالحديث، أو عدم ثبوت الحديث، أو وضع الشروط لقبول خبر الأحاد، أو نسيان الحديث.

٧ ـ **الاختلاف في القواعد والمبادىء الأصولية** التي وضعها

العلماء، بناء على أسباب الاختلاف السابقة، كالاختلاف في دلالة الألفاظ على الأحكام قطعاً وظناً، منطوقاً ومفهوماً، حقيقة ومجازاً، عموماً وخصوصاً، مطلقاً ومقيداً، ودلالة الأمر والنهي، وقواعد التعارض والترجيح، وقواعد تخصيص العام، وقواعد تقييد المطلق، وقواعد النسخ، وغير ذلك من القواعد والمبادىء، والأسباب الموضوعية(١٢).

---

(١٢) للتوسع في هذا الموضوع انظر أصول الفقه الإسلامي، لنا، ص٥٧، وما بعدها، رفع الملام عن الأئمة الأعلام، لابن تيمية ص ٤، الانصاف في بيان أسباب الاختلاف ص١٦، أثر الاختلاف في القواعد الأصولية، للدكتور مصطفى الخن ص ٤٢، حجة الله البالغة ٣١٣/١، الميزان الكبرى للشعراني، الموافقات للشاطبي ١٣٨/٤.

الخاتمة

وإلى هنا ننتهي من تعريف العلوم الشرعية، وبيان نشأتها، وتطورها وتاريخها، مع تعداد أهم علمائها، وسرد أشهر المصنفات فيها.

وسوف نتابع الدراسة ــ إن شاء الله تعالى ــ ونتوسع بإعطاء صورة مختصرة عن حياة الأئمة والعلماء في كل علم، ودراسة موجزة عن أهم المصادر والمراجع والكتب في كل فن.

ونسأل الله أن يأخذ بيدنا إلى ما فيه الخير، وأن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن يسدد خطانا، وأن يردنا إلى ديننا رداً جميلاً، لنستفيد من تراث الآباء والأجداد، ثم نجدد الحياة فيها، ونتابع السير على هداها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مراجع البحث

١ ـ **الاتقان في علوم القرآن**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ).
مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.

٢ ـ **أدب القضاء**، ابراهيم بن عبد الله، ابن أبي الدم الحموي (٦٤٢ هـ).
تحقيق الدكتور محمد الزحيلي. طبع دار الفكر بدمشق ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م.

٣ ـ **أصول الحديث وعلومه**، الدكتور محمد عجاج الخطيب.
طبع دار الفكر ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م.

٤ ـ **أصول الفقه الإسلامي**، الدكتور محمد الزحيلي.

كتاب جامعي، مطابع مؤسسة الوحدة بدمشق ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١ م، الطبعة الثانية.

٥ ـ **الإعلام بمناقب الإسلام**، محمد بن يوسف العامري (٣٨١ هـ).
طبع دار الكاتب العربي ـ القاهرة ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م.

٦ ـ **الأم**، للإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤ هـ).
تصوير دار الشعب بالقاهرة ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م.

٧ ـ **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤ هـ).
طبع دار إحياء الكتب العربية ـ الطبعة الأولى ـ القاهرة ـ ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م.

٨ ـ **تاريخ الأدب العربي**، كارل بروكلمان.
طبع دار المعارف بمصر ـ ١٩٦٨ م وما بعدها.

٩ ـ **تاريخ التراث العربي**، الدكتور فؤاد سزكين.
مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م.

١٠ ـ **تأسيس النظر**، عبيد الله بن عمر، أبو زيد الدَّبُوسي (٤٣٠ هـ).
دار الفكر ـ الطبعة الثانية ـ تصوير عن الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م

١١ ـ **التعرف لمذهب أهل التصوف**، محمد بن اسحاق البخاري الكلاباذي (٣٨٠ هـ).
مطبعة السعادة بمصر ـ نشر مكتبة الخانجي ـ ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م.

١٢ ـ **تعريف عام بدين الإسلام**، الشيخ علي الطنطاوي.
مؤسسة الرسالة ـ الطبعة السادسة ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.

١٣ ـ **التفسير ورجاله**، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور.
سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ـ القاهرة ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.

١٤ ـ **التفسير والمفسرون**، الدكتور الشيخ محمد حسين الذهبي.
طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة ـ ١٣٨١ هـ ـ ١٩٨١ م.

١٥ ـ **الجامع الصحيح مع شرح تحفة الأحوذي** للمباركفوري، عيسى ابن سورة (٢٧٩ هـ).
مطبعة المدني ـ القاهرة ـ طبعة ثانية ـ ١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م.

١٦ ـ **الإمام الجويني**، الدكتور محمد الزحيلي.
من سلسلة أعلام المسلمين، طبع دار القلم بدمشق ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

١٧ ـ **الدراية = إتمام الدراية**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ).

على هامش مفتاح العلوم ــ المطبعة الأدبية ــ القاهــرة ــ ١٣١٧ هـ.

١٨ ــ **دستور العلماء** = جامع العلوم، عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ــ طبعة أولى بالهند ــ بدون تاريخ.

١٩ ــ **الرسالة القشيرية في علم التصوف**، عبد الكريم بن هوازن القشيري (٤٦٥ هـ).
تصوير لبنان عن طبعة ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٥٧ م.

٢٠ ــ **الرسالة المحمدية**، سليمان الندوي.
نشر دار الفتــح بدمشق ــ الطبعــة الثانيــة ــ ١٣٨٣ هـ ــ ١٩٦٣ م.

٢١ ــ **الإمام زيد**، الشيخ محمد أبو زهرة (١٩٧٤ م).
طبع دار الفكر العربي ــ القاهرة ــ ١٣٧٨ هـ ــ ١٩٥٩ م.

٢٢ ــ **سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم**، محمــد عزت دروزة (١٩٨٤ م).
مطبعة الاستقامة ــ القاهرة ــ ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م.

٢٣ ــ **السيرة النبوية**، الدكتور مصطفى السباعي (١٩٦٤ م).
دار الكــتب العربيــة ــ دمشق ــ الطبعــة الأولى ــ ١٣٩٢ هـ ــ ١٩٧٢ م.

٢٤ـ **شرح الكوكب المنير**، محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي، المعروف بابن النجار (٩٧٢ هـ).
تحقيق الدكتور محمد الزحيلي والدكتور نزيه حماد.
نشر جامعة أم القرى ـ طبع دار الفكر بدمشق ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٥ـ **الإمام الشيرازي** حياته وآراءه الأصولية، الدكتور محمد حسن هيتو.
دار الفكر ـ دمشق ـ الطبعة الأولى ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٦ـ **الإمام الصادق**، الشيخ محمد أبو زهرة (١٩٧٤م).
دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ بدون تاريخ.

٢٧ـ **طبقات الصوفية**، محمد بن الحسين، أبو عبد الرحمن السُّلمي (٤١٢ هـ).
مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٣م.

٢٨ـ **طبقات الفقهاء**، ابراهيم بن علي، أبو إسحاق الشيرازي (٤٧٦ هـ).
نشر دار الرائد العربي ـ بيروت ـ ١٩٧٠م.

٢٩ـ **طرق تدريس التربية الإسلامية**، الدكتور محمد الزحيلي.
كتاب جامعي ـ المطبعة الجديدة بدمشق ـ ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م.

٣٠ــ **العذب الفائض شرح عمدة الفارض**، ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم (ق ١٢ هـ).
مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٧٢ هـ ــ ١٩٥٣ م.

٣١ــ **العقيدة الإسلامية**، الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني.
دار القلم بدمشق ــ ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م.

٣٢ــ **العقيدة النظامية**، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الإمام الجويني (٤٧٨ هـ).
نشر مطبعة الأنوار بمصر ــ ١٣٦٧ هـ ــ ١٩٤٨ م.

٣٣ــ **علوم الحديث**، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المعروف بابن الصلاح (٦٤٣ هـ) تحقيق وشرح الدكتور نور الدين العتر.
طبع دار الفكر بدمشق ــ ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م.

٣٤ــ **الفقه الإسلامي وأدلته**، الدكتور وهبة الزحيلي.
طبع دار الفكر بدمشق ــ ١٤٠٤ هـ ــ ١٩٨٤ م.

٣٥ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ التاريخ وملحقاته**، الأستاذ خالد الريّان.
طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٣٩٣ هـ ــ ١٩٧٣ م.

٣٦ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ التصوف**، الأستاذ محمد رياض المالح.

طبع مجمع اللغة العربية بدمشق (١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م) (١٤٠١هـ ــ ١٩٨٠م) (١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م).

٣٧ ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ علوم القرآن**، الأستاذ صلاح محمد الخيمي.
طبع مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م.

٣٨ ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ الفقه الحنفي**، الأستاذ محمد مطيع الحافظ.
نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٤٠١هـ ــ ١٩٨٠م.

٣٩ ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ الفقه الشافعي**، الأستاذ عبد الغني الدقر.
نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٣٨٣هـ ــ ١٩٦٣م.

٤٠ ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ مجاميع**، الأستاذ ياسين محمد السواس.
نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٤٠٣هـ ــ ١٩٨٣م.

٤١ ــ **فهرس مخطوطات المكتبة الظاهرية ــ المنتخب من مخطوطات الحديث**، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
نشر مجمع اللغة العربية بدمشق ــ ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م.

٤٢ ــ **فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت**، محمد بن نظام الدين الأنصاري (١١٨٠هـ).

على هامش المستصفى للغزالي ــ المطبعة الأميرية ــ بولاق ــ مصر ١٣٢٢ هـ .

٤٣ ــ **القرآن الكريم والدراسات الأدبية**، الدكتور نور الدين عتر .
كتاب جامعي ــ المطبعة الجديدة بدمشق ــ ١٤٠٦ هـ ــ ١٩٨٦ م .

٤٤ ــ **كشاف اصطلاح الفنون**، محمد علي التهانوي (١١٥٨ هـ) .
تصوير مكتبة كلكتا ــ ١٨٦٢ م .

٤٥ ــ **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله، كاتب جلبي، حاجي خليفة (١٠٦٧ هـ) .
طبعة استانبول ــ سنة ١٣٥١ هـ .

٤٦ ــ **لمحات في المكتبة والبحث والمصادر**، الدكتور محمد عجاج الخطيب .
مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الخامسة ــ دمشق ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م .

٤٧ ــ **الإمام الماوردي**، محمد سليمان داود والدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد .
نشر مؤسسة الشباب الجامعي ــ الاسكندرية ــ ١٩٧٨ م .

٤٨ ــ **مجلة التراث العربي، مقال الاجتهاد الفقهي بالشام في العصر الأموي**، الدكتور محمد الزحيلي .

العددان ١١ ــ ١٢ تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق ــ ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م.

٤٩ ــ **محاضرات في تاريخ العلوم**، الدكتور فؤاد سزكين.
مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ــ الرياض ــ ١٣٩٩ هـ ــ ١٩٧٩ م.

٥٠ ــ **محاضرات في علوم القرآن**، الدكتور نور الدين عتر.
كتاب جامعي ــ مطبعة الإنشاء ــ دمشق ــ ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٤ م.

٥١ ــ **المستدرك على الصحيحين**، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله الحاكم (٤٠٥ هـ).
طبع حيدر آباد ــ الهند ــ سنة ١٣٣٥ هـ.

٥٢ ــ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، أحمد ابن مصطفى، طاش كبري زاده (٩٦٨ هـ).
طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة ــ ١٩٦٨ م.

٥٣ ــ **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨ هـ).
طبع المكتبة التجارية بالقاهرة ــ بدون تاريخ.

٥٤ ــ **مناقب الشافعي**، فخر الملة محمد بن عمر الرازي (٦٠٦ هـ).
طبع المكتبة العلامية بمصر ــ ١٢٧٩ هـ.

٥٥ـ **المنخول من تعليقات الأصول**، حجة الإسلام محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥ هـ).
تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو، طبع دار الفكر بدمشق ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.

٥٦ـ **منهاج الوصول إلى معرفة علم الأصول**، القاضي عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥ هـ).
طبع مصر ١٣٢٦ هـ.

٥٧ـ **منهج النقد في علوم الحديث**، الدكتور نور الدين عتر.
طبع دار الفكر بدمشق ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.

٥٨ـ **نداء إقبال**، مؤتمر إقبال بدمشق لعام ١٩٨٥م، عدد من الأساتذة.
طبع دار الفكر بدمشق ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٦ م.

٥٩ـ **النقاية متن إتمام الدراية**، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٩١١ هـ).
على هامش مفتاح العلوم، المطبعة الأدبية ـ القاهرة ـ ١٣١٧ هـ.

٦٠ـ **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه**، الدكتور محمد الزحيلي.
طبع دار القلم بدمشق ـ الطبعة الثانية ـ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م.

٦١ــ **وفيات الأعيان**، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (٨٦١هـ).
طبع مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ــ ١٣٦٧هــ ١٩٤٩م.



من آثار المؤلف

١ ــ وسائل الإثبات في المعاملات المدنية والأحوال الشخصية ــ
رسالة دكتوراه.
نشر دار البيان بدمشق ــ ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م.

٢ ــ أصول الفقه الإسلامي ــ كتاب جامعي.
طبعة أولى ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م + طبعة ثانية ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م.

٣ ــ أدب القضاء لابن أبي الدم الحموي ــ تحقيق.
طبعة أولى بمجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م + طبعة ثانية ١٤٠٢ هـ ــ ١٩٨٢ م، دار الفكر بدمشق.

٤ ــ طرق تدريس التربية الإسلامية ــ كتاب جامعي.
طبعة أولى ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨١ م.

٥ ــ **وظيفة الدين في الحياة وحاجة الناس إليه.**

دار القلم بدمشق ــ طبعة أولى ١٣٩٦ هـ ــ ١٩٧٦ م ــ طبعة ثانية ١٤٠٧ هـ ــ ١٩٨٧ م.

٦ ــ **شرح الكوكب المنير، لابن النجار الفتوحي الحنبلي، تحقيق** بالاشتراك أربع مجلدات.

نشر مركز البحث العلمي والتراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

٧ ــ **أصول المحاكمات الشرعية والمدنية** ــ كتاب جامعي.

طبعة أولى ١٤٠١ هـ ــ ١٩٨٠ م.

٨ ــ **القانون المدني المقارن بالفقه الإسلامي** ــ كتاب جامعي.

الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣ م.

٩ ــ **التنظيم القضائي في الفقه الإسلامي، وتطبيقه في المملكة العربية السعودية.**

الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م.

١٠ ــ **الإمام الجويني** ــ من سلسلة أعلام المسلمين ــ دار القلم بدمشق.

١١ ــ **القاضي البيضاوي** ــ من سلسلة أعلام المسلمين ــ دار القلم بدمشق.

الفهـــرس

مقدمة ٧

الفصـــل الأول

علـوم القـرآن الكـريـم

تعريف علوم القرآن الكريم ١٥
تعريف القرآن الكريم ١٦
تعريف علوم القرآن ١٧
نشأة علوم القرآن وتطورها ١٩
أنواع علوم القرآن الكريم.......................... ٢٠

○ المبحث الأول ــ علم القراءات
تعريف القراءة ٢٧

نشأة علم القراءة وتطوره........................ ٢٨
أئمة القراء................................ ٣١
كتب القراءات................................ ٣٥
مخطوطات علم القراءات في مكتبة الأسد.......... ٣٧

○ المبحث الثاني ــ علم التفسير

تعريف علم التفسير.............................. ٤٣
التفسير والتأويل................................ ٤٦
أنواع التفسير................................ ٤٧

ــ أوجه التفسير................................ ٤٧
ــ أنواع التفسير بحسب مصدره.................. ٤٩
ــ أنواع التفسير بحسب المنهج العلمي.............. ٥١
ــ أنواع التفسير من الناحية الموضوعية.............. ٥٣

نشأة علم التفسير وتدوينه........................ ٥٧
كتب التفسير................................ ٦٢
مخطوطات كتب التفسير في مكتبة الأسد.......... ٦٢

الفصـل الثانـي

علـم الحـديـث

تعريف الحديث.. ٦٧

أهمية الحديث.. ٧٠

نشأة علم الحديث...................................... ٧٣

تعريف علم الحديث.................................... ٧٦

أقسام علم الحديث..................................... ٧٨

أنواع علوم الحديث.................................... ٨٠

كتب الحديث.. ٨١

مخطوطات علم الحديث في مكتبة الأسد..................... ٨٤

الفصـل الثالـث

علـم التوحيـد

تعريف وبيان.. ٨٩

نشأة علم التوحيد وتطوره................................ ٩٣

خصائص العقيدة الدينية وأهميتها.......................... ١٠٢

أهم كتب علم التوحيد........................ ١٠٦
مخطوطات علم التوحيد في مكتبة الأسد.................. ١٠٨

الفصل الرابع
علم الفقه

تعريف علم الفقه.......................... ١١٣
شمول أحكام الفقه.......................... ١١٥
نشأة الفقه وتطوره.......................... ١١٨
المذاهب الفقهية.......................... ١٢٢
ـ المذهب الحنفي.......................... ١٢٣
ـ المذهب المالكي.......................... ١٢٧
ـ المذهب الشافعي.......................... ١٢٩
ـ المذهب الحنبلي.......................... ١٣٤
ـ المذهب الزيدي.......................... ١٣٦
ـ المذهب الجعفري.......................... ١٣٨
ـ المذهب الإباضي.......................... ١٤٠
ـ المذهب الظاهري.......................... ١٤١

الفصل الخامس

علم أصول الفقه

تعريف علم أصول الفقه........................ ١٤٨

بواعث علم أصول الفقه وأهدافه........................ ١٥٠

فوائد علم أصول الفقه........................ ١٥٤

موضوع علم أصول الفقه........................ ١٥٥

نشأة علم أصول الفقه وتطوره........................ ١٥٧

كتب الشافعي في أصول الفقه........................ ١٦٠

طرق التأليف في علم أصول الفقه........................ ١٦٢

مخطوطات أصول الفقه في مكتبة الأسد........................ ١٦٥

الفصل السادس

علم السيرة النبوية

تعريف وبيان........................ ١٧١

أهمية السيرة........................ ١٧٤

ميزات السيرة النبوية........................ ١٧٦

نشأة علم السيرة وتطوره ١٧٨
أهم كتب السيرة النبوية ١٨١
مخطوطات السيرة النبوية في مكتبة الأسد ١٨٢

الفصل السابع
علم التصوف

تعريف التصوف ١٨٩
نشأة التصوف وتطوره ١٩٢
التصوف في حياة المسلمين ١٩٨
كتب التصوف ٢٠١
مخطوطات التصوف في مكتبة الأسد ٢٠٣

الفصل الثامن
علم الفرائض

تعريف علم الفرائض ٢٠٧
نشأة علم الفرائض ٢١٠

كتب علم الفرائض........................ ٢١٢
مخطوطات علم الفرائض بمكتبة الأسد........................ ٢١٤

الفصل التاسع

علم الخلاف

تعريف علم الخلاف........................ ٢١٩
نشأة علم الخلاف........................ ٢٢٠
كتب علم الخلاف........................ ٢٢٣
أسباب الاختلاف........................ ٢٢٨

○ الخاتمة........................ ٢٣٤
مراجع البحث........................ ٢٣٥
من آثار المؤلف........................ ٢٤٧

تعريف عام بالعلوم الشرعية / محمد الزحيلي . ــ ط. ١ ــ دمشق : دار طلاس ، ١٩٨٨ . ــ ٢٥٦ ص. ؛ ١٧ سم .

١ ــ ٢١٠ ز ح ي ت ٢ ــ العنوان ٣ ــ الزحيلي

رقم الإيداع ــ ١٩٨٨/٥/٤٦٨

رقم الاصدار ٣٤٣

